

# استعادة روح الاستخلاف: مشروع الإصلاح التربوي لعبد الحميد أبو

## سليمان في ضوء حاجة الواقع التعليمي المعاصر

خالد الصمدي\*

### الملخص

يهدف البحث إلى استقراء التوجهات الكبرى للفكر التربوي لعبد الحميد أبو سليمان، من حيث مرجعيتها التأسيسية، ومقاصدها، ومضامينها الفكرية وممارساتها العملية التطبيقية، والتي استند إليها في تشخيص الأعطاب الفكرية والتربوية التي تحُول دون استعادة الأمة الإسلامية روح المبادرة، وتحول دون قدرتها على الاندماج من جديد في دورة الاستخلاف وال عمران الحضاري، ثم استشار خلاصات هذا الرصد والتتبع في الإجابة عن فرضية وجود مشروع إصلاحى مُتكامل لدئ عبد الحميد أبو سليمان، من حيث الأسس التي يقوم عليها، وخصوصياته، ومُكوّناته، ومنهجيته في التنزيل من التنظير إلى التنفيذ في تجارب مختلفة ومتعددة، وذلك بقصد الإفادة منه في حفز الأمة الإسلامية إلى استعادة روح الاستخلاف والمبادرة الحضارية في المؤسسات والممارسات في سياق واقع تتدافع فيه المشاريع التربوية والإصلاحية التي تختلف باختلاف رؤاها الكونية ومرجعياتها الحضارية.

الكلمات المفتاحية: التوجّهات الكبرى للفكر التربوي لعبد الحميد أبو سليمان، تشخيص الأعطاب الفكرية والتربوية، المشروع التربوي، الواقع التعليمي، استعادة روح الاستخلاف.

---

\* دكتوراه في الدراسات الإسلامية من جامعة محمد بن عبد الله بفاس، أستاذ التعليم العالي بالمدرسة العليا للأستاذة، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، المملكة المغربية. مستشار أكاديمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي في المغرب. البريد الإلكتروني: samadikh@yahoo.fr

تم تسلّم البحث بتاريخ 2022/11/30م، وقُبِل للنشر بتاريخ 2023/9/4م.

الصمدي، خالد (2023). استعادة روح الاستخلاف: مشروع الإصلاح التربوي لعبد الحميد أبو سليمان في ضوء حاجة الواقع

التعليمي المعاصر، مجلة "الفكر الإسلامي المعاصر"، مجلد 29، العدد 106، 187-225. DOI: 10.35632/citj.v29i106.8157

كافة الحقوق محفوظة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي © 2023

## مقدمة

إنَّ استشراف سُبل إصلاح منظومات التربية والتعليم في العالم الإسلامي يقتضي بالضرورة استقراء المشاريع ذات الصلة بهذا المجال، التي قادها علماء مُفكِّرون ومُصلِحون في بلدان مختلفة، وذلك من حيث مرجعيتها التأسيسية، ومقاصدها، ومضامينها الفكرية والتربوية، ومؤسساتها وممارساتها العملية التطبيقية، والاستفادة منها ومن تجاربها.

ولهذا الغرض، تُنظَّم عديد من الجامعات ومراكز التفكير ندوات ولقاءات علمية وورش عمل لرصد مختلف تجارب الإصلاح التربوي التي عرفها التاريخ الإسلامي المعاصر على وجه التحديد، وتشخيص مدى تمكُّنها من تحقيق مقاصدها وغاياتها، والوقوف على التحدِّيات والإكراهات التي واجهتها، والاستفادة من كسبها لبناء مشروع متكامل ومُتجدِّد لإصلاح المنظومات التربوية في العالم الإسلامي، وكذا إبراز قدرتها على اقتراح البديل الفكري والتربوي الذي يُمكن أن تفيده منه التجارب الإنسانية في مختلف مرجعياتها النظرية واجتهاداتها التطبيقية.

إذا كان عبد الحميد أبو سليمان قد اشتغل بفكرة الإصلاح في شموليتها، فإنَّ اهتمامه بالإصلاح التربوي كان بارزاً بوضوح في جُلِّ كتاباته. غير أنَّ هذا المجال لم يحظَّ منه بكتاب جامع يُبرز أصول مشروعه التربوي وخصائصه على وجه التفصيل؛ إذ ظلَّت أفكاره تسبح في فضاء فكره الإصلاحية الغني بالأفكار النظرية والتجارب العملية؛ ما جعل الحاجة ملحةً لجمع هذه الأفكار والتجارب في عقد ناظم وتحليلها لإبراز عناصر مشروعه التربوي وتوجُّهاته وآفاقه، علماً بأنَّ المادة العلمية التي وقفنا عليها، واستثمرنا أهمَّها في هذه الورقة العلمية، هي مادة غنية لأطروحة دكتوراه، تُفصِّل ما ذكرناه إجمالاً في فقراته.

وتروم هذه الورقة البحثية العلمية تحقيق الهدفين الآتيين:

أ. الكشف عن الخطوط العريضة للفكر التربوي للأستاذ عبد الحميد أبو سليمان، ودوره في تشخيص الأعطاب الفكرية والتربوية التي حالت (أو تحوّل) دون استعادة الأمة الإسلامية روح

المبادرة والاندماج من جديد في دورة الاستخلاف والعمران الحضاري، سواء من الناحية النظرية الفكرية والمنهجية بما خلّفته من رواسب تحوّلت إلى كوابح وعوائق حضارية في الذات والمحيط، أو من الناحية التطبيقية العلمية في المؤسسات والممارسات التي جعلتها تخرج من دورتها الحضارية، وتبتعد عن رسالتها ذات الصلة بتكوين الشخصية الحضارية المتوازنة، والمتفاعلة مع محيطها الحضاري الخاص، والمندمجة في محيطها الإنساني الكوني العام، وحالت -تبعاً لذلك- دون قيامها بمهمة الاستخلاف على الوجه المطلوب في التكليف الإلهي؛ تلبيةً لحاجة الإنسان المُكلّف برسالة العمران.

ب. الجواب عن السؤال المُتعلّق بفرضية وجود مشروع إصلاحِي مُتكامل للأستاذ عبد الحميد أبو سليمان، والكشف عن أسسه المنهجية العامة التي يقوم عليها، والاستئناس في ذلك بخلاصات مساره الطويل من التفكير والتنظير والتطبيق والممارسة؛ ما يُفضي إلى انطباع بوجود مدرسة تربوية ذات أُسس ومعايير معرفية وتربوية وآفاق مستقبلية، غايتها استعادة روح الاستخلاف والمبادرة الحضارية في ظلّ واقع تختلف رؤاه الكونية ومرجعياته الحضارية، وتدافع قيمه وكياناته الثقافية والدينية والاجتماعية مع المرجعيات السائدة. ويلى ذلك محاولة الإجابة عن السؤال المركزي الآتي: هل يُمكننا في ختام هذه الجولة العلمية الحديث عن الأفكار التربوية للأستاذ عبد الحميد أبو سليمان بوصفها مرجعاً يُمكن الاستئناس به في الهداية والخبرة والاسترشاد، أم الوقوف على مشروع تربوي مُتكامل الأركان؟

وإذا كان الحال كذلك، فما سياقات هذا المشروع التربوي؟ وما خصوصياته؟ وما مُكوّناته ومؤسّساته؟ وما منهجيته في التنزيل من التنظير إلى التنفيذ؟

وقد استندنا في هذه الورقة البحثية العلمية إلى أهمّ كُتب الرجل في مؤلّفاته وأوراقه العلمية ذات الصلة بمجال التربية، وأبرزها: كتاب "الإسلام بين شريعتين: رؤية قرآنية في معرفة الذات ومعرفة الآخر" (أبو سليمان، 2003م)، وكتاب "الرؤية الكونية الحضارية القرآنية: المُنتلّق الأساس

للإصلاح الإنساني" (أبو سليمان، 2009م)، (لهما علاقة وطيدة بمرجعية الإصلاح التربوي)، وكتاب "أزمة الإرادة والوجدان المسلم: البُعد الغائب في مشروع إصلاح الأُمَّة" (أبو سليمان، 2004م)، الذي يستفاد منه في مجال تشخيص الأعطاب الفكرية والتربوية، وكتاب "انهيار الحضارة الإسلامية وإعادة بنائها: الجذور التربوية والثقافية" (أبو سليمان، 2016م)، الذي يستفاد منه في مجال الاستشراف، وكتاب "الإصلاح الإسلامي المعاصر: قراءة منهجية اجتماعية" (أبو سليمان، 2011م)، الذي يحمل رؤية مُفكِّرنا الإصلاحية الجامعة، ويتضمَّن رؤى وتوجُّهات كُبرى في الإصلاح التربوي، وغير ذلك من المنشورات والإصدارات ذات الصلة.

وقد استفدنا كذلك من بعض مقالات أبو سليمان التي نُشرت في مجلَّة "إسلامية المعرفة"، وأهمُّها: ورقة بعنوان "الإصلاح التربوي: العلاقة بين الرؤية الكونية والمنهجية والداء التربوي" (أبو سليمان، عدد 22، سنة 2000م)، وورقة حملت عنوان "إسلامية الجامعة وتفعيل التعليم العالي بين النظرية والتطبيق: الجامعة الإسلامية باليزيا نموذجاً" (أبو سليمان، عدد 26، سنة 2001م)، وغيرهما من الأوراق والمقالات. وكذلك استفدنا من الندوات العلمية والدورات التكوينية التي أطرها أبو سليمان في المغرب لفائدة طلبة سلكي الماجستير والدكتوراه في عدد من الجامعات المغربية طوال سنوات عديدة، ولا سيما طلبة تخصص ماجستير "التربية والدراسات الإسلامية" الذي كان سندا لتأسيسه في جامعة عبد الملك السعدي بتطوان شمال المملكة المغربية حين وقَّع اتفاقية شراكة وتعاون بين المعهد العالمي للفكر الإسلامي والجامعة لإحداث هذا التخصص المُزدوج الأوَّل من نوعه في المغرب.

واعتمدنا في هذه الورقة البحثية العلمية المنهج الوصفي في جمع المادة العلمية المتوافرة في هذه الأدبيات الفكرية والتربوية المذكورة آنفاً وغيرها من مؤلِّفات هذا المُفكِّر ومقالاته، مع اعتماد المنهج التحليلي والاستنباطي لسلك هذه الأفكار والتوجُّهات في عقْد ناظم، واستخلاص التوجُّهات التي يُمكن الاستفادة منها في بناء رؤية لمشروع إصلاح تربوي إسلامي معاصر.

## أولاً: مدخل عامٌ إلى مشاريع الإصلاح التربوي في العالم الإسلامي وحاكمة السيّاق

إذا كانت مشاريع الإصلاح في العالم الإسلامي المعاصر قد اشتغلت -ولا تزال مُشغلة- بتشخيص الداء وتحديد الأعطاب التي أصابت الدورة الحضارية للأمة الإسلامية، وكانت سبباً في انخفاض منسوب فاعليتها وأدائها الحضاري؛ إيماناً من رُوّادها ومُنظِّريها بأنّ مدخل الإصلاح يبدأ بوضوح الرؤية وتدقيق النظر في مخرجات هذا التشخيص ونتائجه، ثمّ تحديد توجّهات الإصلاح وخياراته وأولوياته في ضوء ذلك، وإذا كانت معظم هذه المشاريع التي ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، واستمرّت طوال القرن العشرين الميلادي قد توافقت على تحديد معظم مكامن العطب الفكرية والاجتماعية والسياسية والحضارية، وكادت تتحد ووجهتها صوب الحركات الاستعمارية بوصفها أداة لاستعباد الأمة والانتقاص من حريتها وسيادتها ثمّ تكبيل طاقتها، بما لذلك من آثار تربوية ونفسية واجتماعية واقتصادية، بل حتّى فكرية وهويّاتية على المدنى المُتوسّط والمدنى البعيد؛ إذا كانت كذلك فإنّها دخلت مجال اقتراح البدائل من أبواب مُتفرّقة، مُتأثرة في ذلك بالسياقات الزمنية والمكانية التي حكمت نشأتها، وظهورها، وتطوُّرها، والخلفيات الفكرية والعلمية والتربوية لروّادها.

فمشاريع الإصلاح التي نشأت في مصر تختلف في خياراتها وتوجّهاتها عن تلك التي نشأت في المغرب الإسلامي، فضلاً عن تلك التي نشأت في شرق الأمة الإسلامية، ولا سيما في الهند وباكستان وما وراءهما، بل ظهرت فيها مدارس لها أولويات ومداخل مختلفة، وعمل بعض رُوّادها (مثل الكواكبي) على الإصلاح السياسي المُشغّل بالقضاء على الاستبداد، وعمل بعض آخر (مثل: محمد عبده، وتلميذه رشيد رضا في مصر، وبديع الزمان النورسي في بلاد الترك) على الإصلاح التربوي، وعمل آخرون (مثل جمال الدين الأفغاني) على الإصلاح الاجتماعي، واشتغل غيرهم بالإصلاح وفق نظرة شمولية مُندمجة ومُتكاملة، أمثال: أبو الأعلى المودودي ومحمد إقبال في الشرق، والطاهر بن عاشور في تونس، ومالك بن نبي وعلال الفاسي في المغرب الأقصى.

ومما سبق يُمكن القول بأنَّ كل المشاريع الإصلاحية في العالم الإسلامي لها منبت واحد ومقصد واحد من حيث مرجعية التأسيس والمقصد الأساس، لكنَّ مسارها يختلف تبعاً لاختلاف الظروف وسياق نشأتها، والأدواء التي عُدَّت نتائج تشخيصها مدخلاً للعلاج.

ومن هذه المُنطلق، نستنتج أنَّ أيَّ مشروعٍ إصلاحي يفصل بين هذه المقاصد والغايات، وحاجات المجتمعات، ولا يراعي السياقات التي ظهر فيها؛ يُعدُّ مَبْتَنًا عن شروط نجاحه، فلا يُمسك ماءً، ولا يُنبت كلاً، ومن ثمَّ لا يملك مُقوِّمات الاستقرار والاستمرار. ولهذا نجد أنَّ مقاصد التربية وأهدافها في الفكر التربوي الإسلامي - كما حدَّدها العلماء المُصلِحون على مرَّ العصور - تتطوَّر وتتكيف وتتناسب مع طبيعة الأوضاع الفكرية أو الاجتماعية أو السياسية التي يعرفها محيطهم الذي بزغت فيه أفكارهم، ونشأت فيه نظراتهم التربوية والتعليمية. فمثلاً، ابن سحنون في القيروان هو غير ابن عبد البر والقاضي عياض وابن حزم في الأندلس، وهؤلاء هم غير الإمام الغزالي وابن تيمية وابن القيم في المشرق الإسلامي، وإنَّ نهل الجميع من حوض واحد.

ويُبرز هذا النهج أهمية تكيف المناهج التعليمية مع مُتطلِّبات العصر وحاجاته ومُتغيِّراته<sup>1</sup> (الصمدي، 2000م، ص33). وقد شهد واقعا الإسلامي المعاصر تنوع اختيارات الإصلاح

<sup>1</sup> عاصر فقيه الأندلس بالغرب الإسلامي أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري المعروف بابن عبد البر (ت: 463 هجرية) زمن الطوائف الأوَّل بعد سقوط الخلافة وقبل عصر المرابطين. وقد اكتشف ما كان لحظوظ النفس من دور في إذكاء الخلافات الذاتية التي عصفت بمصير الخلافة الإسلامية في الأندلس؛ لذا حدَّد مقاصد العِلْم في: "إرضاء الله تعالى، وخشيته، وحُسن العلاقة به في العبادة، وتكوين علاقة طيِّبة بعباده، بالإضافة إلى نفع المسلمين في دنياهم عقلياً ووجدانياً ومادياً".

وعاصر الفقيه الشافعي الشامي بدر الدين ابن جماعة (ت: 733 هجرية) زمن الأهوال إثر سقوط بغداد في يد التتار والصراع مع الصليبيين، فحدَّد مقاصد التعليم في: فهم الدين ومعرفة أحكامه وقواعده، وحمل العِلْم عن السلف، والدفاع عن الدين وعلومه الصحيحة ضد التحريف والانتحال والتأويل.

واحتكَّ الشيخ الرئيس ابن سينا (ت: 370 هجرية) بالفلسفة اليونانية، وسعى لتكييف هذه الرؤية مع التصوُّر الإسلامي، فحدَّد مقاصد التعليم في تنمية القوَّة المدركة، وأثار الانتباه إلى أهمية الحكمة، فقَسَمها إلى ثلاثة أقسام:

ومداخله لدى المدارس الإصلاحية على اختلافها وتعددها؛ إذ لم يختلف رُؤاها بالعالم الإسلامي في مبدأ الإصلاح نفسه بعد الوعي بحالة التخلف التي عاشها هذا العالم في القرون الأخيرة، ولم يختلفوا أيضاً في ضرورة الاستناد إلى النص والاجتهاد بوصفها مرجعية لهذا الإصلاح، لكنهم اختلفوا في أوجه الاستمداد منها تبعاً لاختلافهم في تقدير مداخل الإصلاح بين مَنْ يراه تربوياً، ومَنْ يراه فكرياً، ومَنْ يراه سياسياً، ومَنْ يراه تجربةً روحيةً (فرديةً أو جماعيةً)، ومَنْ يراه غير ذلك. وحين حدّدوا الاختيار والوجهة والمسار نسجوا حول كل اختيار خريطة مفاهيم تُميّزه، فاستخدمت مدرسة الإصلاح السياسي مفهوم "الدولة والخلافة"، ومفهوم "الحُكْم والشريعة والشورى"، وغيرهما من المفاهيم. أمّا المدرسة التربوية فاستخدمت مفهوم "العلم والتعليم"، ومفهوم "التزكية والإصلاح"، ومفهوم "الجماعة"، ومفهوم "المدارس والتحصيل"، وغير ذلك من المفاهيم ذات الصلة بالمجال. في حين استخدمت المدرسة الفكرية مفهوم "التجديد"، ومفهوم "الاجتهاد"، ومفهوم "المعرفة"، ومفهوم "العقل"، ومفهوم "العلم"، ومفهوم "المنهج"، ومفهوم "الحوار"، ومفهوم "تدبير الاختلاف"، وغير ذلك من المفاهيم التي تُميّز هذه المدرسة من سواها.

وحين تستند كل حركة إصلاحية إلى المرجعية الإسلامية، فإنّها لا تقصد بذلك اختزالها في توجُّهها وخياراتها، ولا تسعى أيضاً لاحتكارها، وإنّما تقصد بذلك الرجوع إليها بوصفها مرجعية إسلامية جامعة تستند إلى الوحي بغرض تأصيل توجُّهها واختياراتها في الإصلاح وتحذيره في المتن المُقدّس (القرآن الكريم)، ثمّ تأصيل المفاهيم المركزية المُميّزة له، وعادةً هذا المسار الإصلاحي الذي اختارته لَبِنَةٌ في جدار الإصلاح الواسع، تتلاحم مع غيرها من الخيارات في إرساء دعائمه.

وإذا كانت هذه الحركات الإصلاحية قد نشأت ونمت وتطوّرت في تربة العالم الإسلامي وفضاءاته الواسعة بالرغم من تنوّع الخصوصيات الفكرية والثقافية والسياسية التي نشأت فيها، فقد

---

قسم يرتبط بأخلاق المرء وأعماله حتّى تكون حياته الأولى والأخرى سعيدة. وقسم يرتبط بتدبير المرء لمنزله المشترك بينه وبين ولده ومملوكه حتّى تكون حاله مُؤدّية إلى السعادة. وقسم يتناول أصناف السياسات والرئاسات والاجتماعات المدنية الفاضلة والرديئة، ومعرفة وجه استيفاء كل واحدة منها وعلة زواله.

برز مُفكِّرون وباحثون وعلماء آخرون حملوا مشعل الإصلاح من خارج هذه التربة وهذا الفضاء، متأثرين بالبيئة الغربية التي احتضنتهم طلبة أو أساتذة باحثين في مؤسساتها وجامعاتها، وسمحت لأفكارهم بالتبلور والتطوُّر والظهور والانتشار بعد أن احتكوا مباشرة بالمدارس الفكرية والفلسفية الغربية ومراكز الدراسات والبحوث في تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية، وبخاصة في بريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، والولايات المتحدة الأمريكية.

وقد فتحت هذه التجربة أعين هؤلاء على مناهج جديدة في التفكير، وعلى أدوات وآليات وتوجُّهات جديدة في التشخيص والتحليل والنقد والمقارنة وبناء المشاريع، فكان لذلك أثر بالغ في ظهور مراكز تفكير إسلامية في الغرب، نظرت إلى العالم الإسلامي من خارجه، وكانت في ذلك بعيدة عن التحوُّلات والتفاعلات السياسية والفكرية التي يعرفها هذا العالم، ومُنْفَتِحَة في مقترحاتها التي تتجاوز حصر العطب في الاستعمار إلى محاولة الحفر في أعطاب أخرى ترسَّبت إلى الذات الحضارية على مرِّ التاريخ الطويل، ورأت أن تفكُّك العالم الإسلامي وحركة الاستعمار التي عرفها مطلع القرن العشرين الميلادي إنما هو نتيجة لحالة التخلف لا سبب له.

وفي هذا السياق، ظهرت مدرسة المعهد العالمي للفكر الإسلامي التي نشأ زوَّادها ومؤسِّسوها -على اختلاف تخصصاتهم العلمية والفكرية- في هذا الفضاء، وتمكَّنوا بفعل احتكاك خلفيتهم الفكرية الأصلية بالفكر الغربي من طرح أسئلة أكثر عمقاً في العلوم الإنسانية والاجتماعية من قبيل: رؤية العالم، والتكامل المعرفي بين العلوم، وبناء رؤية منهجية للتعامل مع مصادر الفكر الإسلامي، وإعادة قراءة الإرث الحضاري العلمي الذي بنته الأمة على مرِّ العصور بنفَس نقدي استشرافي، والتعامل المُنصِف مع الفكر الغربي وفق منظومة معيارية من القيم العلمية الإسلامية التي تتحرَّر من ضغوط الإيديولوجيا، وتدفع في اتجاه التعامل بالعدل، واستثمار التحجُّزات المباحة في إيجاد التنوع والإثراء والبحث عن الحكمة في مختلف مظاهرها.



وهذه الغاية والمقصد انبثقت فكرة المعهد العالمي للفكر الإسلامي التي بلورها ثلّة من الأساتذة الباحثين الذين تحرّجوا في الجامعات الغربية، أو الوافدين عليها من خريجي جامعات العالم العربي والإسلامي في تخصصات مختلفة، مثل: التربية وعلم النفس، والعلوم الشرعية والفلسفة، والعلوم السياسية والاقتصاد والتدبير، وغير ذلك. وقد أُعلن عن تأسيس هذا المعهد الفكري في سبعينات القرن الماضي بوصفه فضاءً علمياً وفكرياً مُستقلاً، تتلاقح فيه الأفكار والتصورات، ويشغل بإصلاح الفكر الإسلامي بهدف إطلاق دورة حضارية جديدة للعالم الإسلامي، وذلك بالتركيز على تشخيص الأعطاب الفكرية والمنهجية في الذات الحضارية الإسلامية، وكذا التشوّهات التي طالت المفاهيم والتصورات الكبرى، ومحاولة استعادة صفاتها من المرجعية التأسيسية في المتن المُقدّس (القرآن الكريم)، والتطبيقات التنزيلية في السُنّة المُطهّرة والسيرة النبوية الصحيحة والمُوثّقة. وكذلك الاستفادة من الإرث الحضاري الإسلامي للأمة عبر تاريخها الطويل في العلوم والمناهج والمدارس على اختلاف تجاربها، إضافةً إلى الاستفادة من التجارب والخبرات الغربية في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية ومناهج التحليل والتفكير فيها، مع التوجّه إلى استشارة خلاصات ذلك في تشخيص أزمة العقل المسلم وإعادة بنائه على أسس فكرية ومنهجية جديدة، وترجمة ذلك عملياً في مشاريع إصلاح الفكر، وبناء التفكير المنهجي خاصة عن طريق تطوير برامج التكوين والبحث العلمي في الجامعات ومراكز التكوين المُتخصّصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

ولمّا كان مجال التربية والتعليم هو المختبر الذي يتمُّ فيه هذا التشخيص وهذا الإصلاح، فقد اشتغل رُواد هذا المعهد ببناء مشروع مُتكامل للإصلاح التربوي والتعليمي، بدءاً بتشخيص مكامن الداء الفكري وبناء رؤية تقوم على توجُّهات وخيارات مركزية واضحة، تُمكن من تحقيق الإصلاح الفكري المنشود، الذي سينعكس إيجاباً على المجالات الأخرى (السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية)؛ ما يسمح بإحياء جذوة الفعل الحضاري، ثمَّ استعادة روح الاستخلاف والقدرة على أداء مهمة الإعمار التي كلف الله تعالى بها الإنسان في قوله جَلَّ وعلا: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسَعَمَكُمُ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ تُوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: 61].

وقد برز في هذه المدرسة مُفكِّرون وعلماء اشتغلوا بالمفردات المركزية ذات الصلة بالإصلاح الفكري بوجه عام، وعلى رأسهم مؤسسها الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي، والدكتور طه جابر العلواني وأتراهما، في حين استأثرت مركزية الإصلاح التربوي والتعليمي باهتمام آخرين على وجه الخصوص، وعلى رأسهم عبد الحميد أبو سليمان رئيس الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، والدكتور هشام الطالب مهندس "التدريب القيادي" و"التربية الوالدية"، والدكتور فتحي ملكاوي المُتخصِّص في فلسفة العلوم ومناهج التعليم وصاحب التصانيف والمؤلَّفات الكثيرة التي شكَّلت جسراً جمع بين الإصلاح الفكري والإصلاح التربوي، باستثمار مفردات منهجية التكامل المعرفي والبناء الفكري والخرائط المفاهيمية في نحت المصطلحات التكاملية المُندمجة، مثل: التربية الفكرية، والقيَم المقاصدية، وتطبيقاتها في تطوير المنظومات التربوية.

وبعد بلورة الرؤية الكُليَّة للإصلاح، عمل المعهد على استكتاب عدد كبير من الباحثين في العالم العربي والإسلامي والغربي لاستثمار هذا الكسب المعرفي في تطوير مشاريع إصلاح التعليم عامة وإصلاح التعليم الجامعي بوجه خاص، فاستجاب عدد منهم لهذه الدعوة، وانخرطوا في هذا المشروع الإصلاحي الكبير من المغرب غرباً إلى إندونيسيا شرقاً، ومن جنوب إفريقيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بل تأسست مشاريع علمية وفكرية في عدد من الجامعات ومراكز البحث المُتخصِّصة، استلهمت من هذا التوجُّه الفكري والتربوي نفسه، ومن الرؤية الكُليَّة نفسها، لتنتقل في إرساء تجارب خاصة تستجيب لخصوصيات محيطها الفكري والتربوي والاجتماعي والثقافي.

وفي هذا السياق، لم يُفوتْ عبد الحميد أبو سليمان الفرصة للتذكير في جُلِّ كتاباته بالسُّننية التاريخية والقراءة الواعية للتاريخ؛ بُغْيَةً استخلاص العِبَر، والاستفادة منها في رسم المستقبل، ولا سيما في مجال الإصلاح التربوي، فكيف شخَّص عبد الحميد أبو سليمان الأعطاب الفكرية والتربوية التي عرفتها المجتمعات الإسلامية المعاصرة مع استحضر أسبابها وسياقاتها وظروفها؟ وما أسس مشروعه التربوي تنظيراً وممارسةً؟ وما الخلاصات التي يُمكن الاستناد إليها في إرساء المشروع التربوي الإصلاحي المنشود؟

## ثانياً: رؤية عبد الحميد أبو سليمان في تشخيص واقع الأزمة وجذورها

انشغل عبد الحميد أبو سليمان طوال نصف قرن من التدافع الفكري بمحاولة طرح الأسئلة الحقيقية والدقيقة ذات الصلة بجدور الأزمة الفكرية التي تعيشها الأمة الإسلامية، مؤمناً بأن تشخيص الداء هو مدخل العلاج. وقد عكست اللغة التي كتب بها وهو يطرح هذه الأسئلة قلقاً كبيراً مُتراكملاً لا يختلف عن لغة الأسئلة التي طرحها زعماء الإصلاح المعاصرين، إلا أن خصوصيات أسئلة الرجل تتمثل في النظر من خارج الصندوق حين امتزجت رؤيته التشخيصية بتحليل نقاط قوّة العالم الإسلامي وضعفه بالخبرة التي اكتسبها في الغرب، والاحتكاك بمناهجه وقضاياه. قال عبد الحميد أبو سليمان في فقرة حملت عنوان "جدور الأزمة" من كتابه القيم "انهيار الحضارة الإسلامية وإعادة بنائها: الجذور الثقافية والتربوية": "إنّ الأمة في أزمة، وإنّها من المحيط إلى المحيط لا تنقصها الموارد المادية ولا الموارد البشرية، فهي تبلغ بليوناً ومائتي مليون نسمة، أو ما يعادل خمس كامل كيان البشرية، وهي لا تنقصها القيم ولا المبادئ ولا الغايات ولا المقاصد السامية التي يزخر بها الإسلام. إذن، ما الذي أصاب الأمة؟ وكيف انحرفت مسيرتها؟ وكيف تعوّق فعل دفع روح الإسلام فيها حتى انتهت إلى ما انتهت إليه من العجز والتخلّف والضعف؟ ولماذا لم تنجح على مدى القرون محاولات الإصلاح ومشاريع التغيير في استعادة عافية الأمة وتعديل مسارها؟" (أبو سليمان، 2016م، ص 34-35).

والمُلاحَظ أنّ هذه الأسئلة كانت من العمق بحيث اكتست بقلق عكس مدى تعقّد الأزمة وتجذُّرها؛ ما دفع صاحبها إلى تقييم أقرّ بفشل كل محاولات الإصلاح من دون أن يكون لذلك علاقة بالرغبة في الصلاح والإصلاح، وهي رغبة ظلّت مُتقدّمة ما بقي الإسلام في ضمير الأمة. وقد عزا أبو سليمان هذا الإخفاق إلى سببين رئيسيين:

### 1. القصور في التشخيص

إنّ تقويم عبد الحميد أبو سليمان لمسار مشاريع الحركات الإصلاحية المذكورة آنفاً - بالرغم من تعدّد تجاربها وتنوعها - يعكس نوعاً من عدم الاطمئنان إلى النتائج في ظلّ غياب الرؤية الكلّية

للإصلاح، مع عزو ذلك إلى عدم الدقّة في تشخيص العِلل الكامنة وراء حالة التخلف، التي تعود -في نظره- إلى أسباب فكرية ونفسية في الأساس، والنظر إلى بقية المظاهر الأخرى (الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والتربوية) بوصفها نتيجة لا سبباً وعلة؛ ما يعني -في اعتقاده- أنّ الحركات الإصلاحية اتجهت إلى علاج الآثار عوض الانشغال بعلاج أصل الداء، وهو ما أثر سلباً في استدامة النتائج واستمرارها؛ إذ قال رحمه الله: "وعلى الرغم من أنّ جُلّ هذه الجهود التي تنوّعت، وغطّت كل الاتجاهات الإسلامية والمدنية في الجوانب العقيدية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية كانت صحيحة المنطلقات، فإنهم ومع ذلك لم يضعوا أيديهم على أسس الداء ومنبع البلاء، ولم يتمكّنوا من تحقيق مقاصدهم في أنّ يُحرّكوا بشكل فعّال كوامن طاقة الأمة، وأن يُصلحوا بناءها الفكري أو النفسي، وأن يسدّوا ما بينها وبين الأمم المتقدّمة من فجوة الأداء والقدرة والحضارة" (أبو سليمان، 2016م، ص 102).

وأمام هذه الحالة التي كانت عليها الأمة، لم يجد الباحث والمُفكّر أبو سليمان بدءاً من أن يستمرّ في البحث والتنقيب حتّى يهتدي إلى سبب العلة أو أسبابها المهمّة الكبرى المؤثّرة، ويأخذ بأسباب علاجها حتّى يصحّ جسد الأمة، ويتميّز أداؤها، وتتصدّى بنجاح لِمَا تُواجهه من تحدّيات، وحتّى تستطيع -في نهاية المطاف- أن تُقدّم للإنسانية عطاءها، وتستردّ عافيتها وحقوقها وكرامتها، وتُسهم في بناء حضارتها (أبو سليمان، 2016م، ص 102).

وفي سياق التوجيه لِمَا ينبغي أن يكون من الناحية المنهجية، رأى عبد الحميد أنّ دراسة آية قضية أو ظاهرة اجتماعية لا يكون بالنظر إلى مجموع العوامل المؤثّرة فيها ومعرفة نوع التفاعل بينها فقط، وإنّما يجب التفرقة بين الأسباب الجذرية والمضاعفات المُترتبة عليها؛ إذ إنّ كثيراً من المُفكّرين لا يلقون بالألّا بالقدر الكافي للأساسيات، فتدور رحى جهودهم في دوائر غير متناهية من العلاجات السطحية العرجاء العقيمة المُكرّرة (أبو سليمان، 2016م، ص 25).

## 2. سرعة عوامل الهدم

في سياق التشخيص والتقويم، لم يكتفِ عبد الحميد بالتركيز على العوامل الذاتية، بل انتبه -في الوقت نفسه- للعوامل الخارجية التي تتسبب في بطء حركة البناء داخل الذات الحضارية مقارنةً بتسارع عوامل الهدم خارجها، التي لا تسمح بالتفكير الدقيق في البحث عن الأجوبة وصياغة مفرداتها في تصوّر جامع. وفي ذلك يقول: "نحن لا نجافي إذا قلنا إنّ فجوة القدرة الحضارية والأداء المُتميّز -مع مرور الأيام- تزداد تفاقماً واتساعاً بين الأمة الإسلامية والأمم المُتقدّمة بسبب تسارع إمكانات العلوم والتقنيات لدى تلك الأمم، ممّا يُمكنها من إحكام قبضة التحكّم والقهر والتخلّف على كيان الأمة ومُقدّراتها، ويزيد بذلك نصيب أبنائها من الجوع والجهل والمرض والتخلّف" (أبو سليمان، 2016م، ص 27).

ثمّ يقول: "إنّ عوامل التعويق والانحراف كانت كثيرة وعميقة الجذور، وإنّ سرعة وتيرة الأحداث كان سريعاً، وعلى وقع أكبر من الطاقة المتوافرة لملاحقته، بله تجاوزه أو الإسهام في رسم مساره، فأصبح الأداء أقرب إلى ردود الفعل التي لا تسمح بالتحكّم في الظروف، ولا بإمعان النظر في القضايا، ولا بفهم طبائعها ومُتطلّبات مواجهتها" (أبو سليمان، 2016م، ص 35).

إنّ طبيعة هذا التشخيص تعكس قلق المُصلِح المُفكّر مقارنةً بأسئلة المُصلِح التربوي والسياسي والاجتماعي الذي يشتغل على المدى القريب والمدى المُتوسّط، وفي رقعة جغرافية مُعيّنة؛ ذلك أنّ البناء الفكري الذي يخترق التاريخ والجغرافيا يحتاج إلى مساحة زمنية للتشخيص الدقيق عن طريق الحفر في جذور الأزمة، ثمّ بناء حلول استشرافية قد لا تظهر آثارها على المدى المُتوسّط أو المدى البعيد؛ أيّ إنّ من اختار باب الإصلاح الفكري يعرف مُقدّماً أنّه لن يذوق -بالضرورة- ثمار جهوده، وهو ما يُفسّر هذا القلق من عدم تناسب سرعتي الإصلاح والإفساد في فكر عبد الحميد أبو سليمان.

وإيماناً من أبو سليمان بأن هذا الباب هو أبلغ أثراً وأقوم قبلاً؛ فقد اختار الإصلاح الفكري مدخلاً إلى مشروعه الإصلاحية، واشتغل مُدَّةً طويلةً بتشخيص مظاهر الأزمة حتَّى انتهى إلى بلورتها في ثلاثة مداخل:

### أ. تشوُّه الرؤية الكُليَّة وضعف منهجية التفكير

تتلخَّص الرؤية الكونية الإسلامية للكون والحياة والمصير في الإيمان بالغيب، وفي أداء مهمة الاستخلاف على أساس من العدل والمسؤولية، وفي الآخرة مآلاً ومصيراً. غير أنَّ مجريات الأمور لم تَسِرْ على نحوٍ ما حُطِّط لها، وهذه الرؤية الكونية الشاملة أصابها تشوُّهات خطيرة أسهمت على المدى الطويل في ذبول روح الإسلام وقوَّة دفعها في رؤية الأُمَّة، ومكَّنت لعوامل التخلف في كيانها كي تفعل فعلها" (أبو سليمان، 2016م، ص 49).

ومعلومٌ أنَّ تشوُّه هذه الرؤية الكُليَّة لا يُمكن فصله من حيث المُنطلق عن السياق الاجتماعي والتاريخي الذي بدأ فيه، واختصره أبو سليمان في احتكاك مجتمع الأصحاب بمجتمع الأعراب، بوصفها فئتين تتدافعان في إنتاج خطاب عن الإسلام يقترب من المفاهيم والقيَم التأسيسية التي جاء بها النبي الخاتم ﷺ، أو يتعد عنها، بما لكل فئة من خصائص نفسية واجتماعية وتربوية. ولذلك سعت الشريعة الخاتمة تدريجياً لتكثير سواد نموذج الأصحاب، وتقليل سواد نموذج الأعراب عن طريق إعادة بناء المفاهيم على أسس التوحيد، وإعادة بناء القِيَم على أسس التزكية، وإعادة بناء الحضارة على أساس مبادئ العمران ومقاصده، وتخليص الإنسان من نوازع المادة والسيطرة والاستعلاء وتعويضها بطاقة روحية وتربوية وعمرانية تدفع نحو بناء النموذج الحضاري الجديد الذي يقطع مع عقلية الأعراب، استناداً إلى رؤية جديدة للكون والحياة والمصير، جاء بها الكتاب الخاتم، وأطلق عليها أبو سليمان اسم الرؤية الكونية الحضارية القرآنية، التي تُعدُّ أساس التفكير والتنظير، وأساس التنزيل والتطبيق، والإطار الناظم لبناء منهجية للتفكير، يُمثَّل استيعابها والعمل بها ضماناً لإنتاج فكري وحضاري مُستورٍّ ومستدام، ويُشكِّل تشوُّهها سبباً للضمور الفكري

والتراجع الحضاري. قال أبو سليمان في ذلك: "وهكذا، فإنَّ ما نرى ونلمس في حال الأمة المسلمة من عدم الوعي وضعف الاهتمام العلمي المُتعمَّق بالرؤية الكُليَّة الكونية الإسلامية، أو رؤية العالم الإسلامي، وضبابية هذه الرؤية وسلبيتها، هي السبب فيما تعانيه الأمة الإسلامية منذ عصورها السابقة وحتى اليوم من تدهور وتخلُّف" (أبو سليمان، 2009م، ص26).

### ب. تشوُّه المفاهيم المركزية الكُبرى وتوقُّف حركية التفكير

في سياق التشخيص، خلص أبو سليمان إلى رصد نتائج طبيعية لتشوُّه الرؤية الذي يُفضي على المدى البعيد إلى تشوُّه المفاهيم، ويؤدِّي إلى ضمور منهجية التفكير، ثمَّ توقُّف حركية التفكير التي تقف حائلاً دون التجديد والإبداع. وتلك سلسلة من الحلقات ينبغي مراعاتها بهذا الترتيب التعاقبي في تخطيط مشاريع الإصلاح.

ومن المفاهيم التي طالها التشوُّه، فانطلقت منها سلسلة التراجع، الخلط بين العقيدة بوصفها قضايا تأسيسية مُطلقة والفكر بوصفه حصناً للنسبية والتأويل والاجتهاد؛ بإضفاء القدسية على الفكر والتاريخ لمجرد انطلاقتها من العقيدة غيَّب لدى المسلمين القدرة على النقد والتحليل والمراجعة، وبناء نفسية الخضوع والانقياد للأفكار والأشخاص، "فكانت حصيلة رؤيته المغبشة المعتمة خلط بين الفكر والعقائد وبين الغايات والوسائل، وبين الدين والتاريخ، وبين المبادئ والرجال، وبين القيم والأحداث، وبين المفاهيم والتقاليد" (أبو سليمان، 1991م، ص50). وقد بسط أبو سليمان هذا التشوُّه، ويبيِّن مظاهره وآثاره في كتابه القيم "أزمة العقل المسلم" (أبو سليمان، 1991م) الذي شكَّل الخيط الناظم لكل ما أُلِّف بعده من حيث التشخيص والرؤية والمنهج، وبنى عليه التوجُّهات الكُبرى لمشروعه الإصلاحية كما سيأتي بيانه.

### ت. رصد الإشكاليات في الخطاب التربوي

إنَّ أوجه الخلل التي رصدها عبد الحميد أبو سليمان على مستوى الرؤية والمفاهيم ومنهجية التفكير تجد أثرها في الخطاب التربوي السائد في الكتابات التربوية المُوجَّهة إلى مختلف الفئات

العمرية. ولهذا، فقد جعل إصلاح التشوّهات الفكرية مدخلاً رئيساً لإنتاج خطاب تربوي راشد بخصوصيات معرفية ونفسية تضمن له التأثير والنفوذ إلى الوجدان من أجل التغيير. ومن مظاهر الحَلَل التي رصدها أبو سليمان في هذا الخطاب:

#### - استخدام خطاب واحد لفئات مُتعدّدة

يُقصد بذلك عدم مراعاة خصوصيات كل فئة من الفئات، علماً بأنّ خطاب الطفل ينبغي أن يختلف عن خطاب المُراهق أو المُكلّف. ومن ذلك: الخلط بين الخطاب التربوي والخطاب القانوني الزجري في مجال تغيير السلوكات والتحذير من المخالفات، والخلط بين النسبي البشري والمُقَدَّس في لحظات الاستدلال والبرهنة؛ ما يؤدّي إلى إضفاء القدسية على النسبي عند العجز عن الإقناع، وخلط خطاب السعة بخطاب الضرورة، وغير ذلك من صور الحَلَل في الخطاب التربوي. قال أبو سليمان في ذلك: "وفي جوٍّ من العزلة والانفصام كان لا بُدَّ أن يقع الفكر الإسلامي في الخلط بين الخطاب الزماني والمكاني لعهد الرسالة، وبين الخطاب الأزلي الديني الإلهي؛ أي خلط الثابت بالمتغيّر، وكان لا بُدَّ بسبب العجز الفكري من خلط خطاب الزجر والوعيد والتهديد بخطاب الإرشاد والتوجيه، وخلط خطاب الكُفَّار بخطاب المؤمنين، وخلط خطاب النبوة والدعوة بخطاب الحُكْم والسياسة، وخلط خطاب القادة والحكماء بخطاب البدائيين والبسطاء، وخلط خطاب السعة بخطاب الضرورة، وخلط خطاب رعاية الطفل بخطاب مسؤولية البالغ وضبط سلوكه" (أبو سليمان، 1991م، ص136).

إنّ تضافر هذه المظاهر يؤدّي غالباً إلى ضعف مَلَكَة التحليل، والنقد، والسؤال، والاستدلال، والبرهنة، والاستنتاج، وغير ذلك من المهارات المعرفية العليا التي تسعى كل المنظومات التربوية لبنائها وتطويرها؛ لكي يجلّ محلّها التسليم للرأي الواحد، والخوف من الاختلاف، وضمور القدرة على تديره وإدارته. وفي ذلك قال أبو سليمان رحمه الله: "لقد أمكن بواسطة الخلط في الخطاب وتوظيف القدسية لخدمته أن يسود خطاب الإرهاب الفكري لفرض



المتابعة الفكرية وتكميم الأفواه، وفرض الجمود وتطوير النفوس لهذا اللون من الفكر والثقافة" (أبو سليمان، 1991م، ص 137).

### - الخلط بين القيم بوصفها ثوابت والممارسات بوصفها مُتغيّرات

إنَّ القِيمَ هي جوهر الإصلاح، وبناء منظومة القِيم هو المقصد في مشروع أبو سليمان، وإنَّ عدم الانتباه بما يكفي لهذا الدافع الفاعل لحركية الفكر والوجدان في الإنسان حصر الاشتغال بالموضوع في بُعد الأخلاقي التربوي الذاتي، في الوقت الذي تُشكّل فيه منظومة القِيم في القرآن الكريم والتطبيقات النبوية (سُنَّة، وسيرة) المُحرِّك الرئيس للإصلاح الفكري، بوصف القِيم مفاهيم مركزية مؤسّسة من الناحية الفكرية، ومصدراً للبناء النفسي والوجداني، وطاقه مُلهمة للبذل والعطاء وتحفيز الإرادة من ناحية أخرى. وأيُّ ضمور في القِيم في الذات الحضارية الجماعية يُجرِّبها عن مقصدها، ويدفع بها إلى زوايا الاشتغال بالرقمي الأخلاقي الذاتي بغاية الخلاص الفردي بعيداً عن البُعد المنهجي المؤطّر للإصلاح؛ معرفة، ومهارات، ووجداناً.

وقد رصد أبو سليمان القِيم المركزية الكبرى في القرآن الكريم والسُنَّة النبوية، وصاغ أهمّها في مفردات جامعة، منها: التوحيد وما يرتبط بهذا المفهوم من وحدة الربوبية والألوهية، ووحدة الإنسان وغاية وجوده ومسؤولية ضميره، والعدل والإصلاح، وعدم الفساد والظلم والإسراف، والصدق والأمانة والإحسان، والعلم والمعرفة والإعمار، وقصد الخير، والرفق والرحمة والتعاون وحُسن الخُلُق، والعدل والفقّه والبذل وحُسن العمل، وغير ذلك. وساق لذلك أمثلة من النصوص القرآنية والحديثية، ثمّ دعا إلى التفرقة المنهجية بين هذه القِيم بوصفها مقاصد وغايات والفكر بوصفه وسائل وآليات (أبو سليمان، 1991م، ص 53).

وغاية هذا التفريق من الناحية المنهجية أنّ القِيم تُعدُّ مقاصد وغايات ثابتة، ووجودها من عدمها هو مناط الحُكم على أيّة ثقافة أو حضارة. أمّا المواقف والسلوكات المُتغيّرة فلا يُمكن البناء عليها في إصدار الأحكام لتأثيرها بالسياقات المختلفة، وكثيراً ما حوِّك الإسلام بسوء المواقف

والسلوكات لبعض المسلمين على مرّ التاريخ؛ ما أفضى إلى ظلم كبير ونَجْنٌ شديد على هذه الحضارة الغنية بقيَمِها ومبادئها. وهذا ما نبّه عليه أبو سليمان حين قال: "ولكنّ الكائدين لا يقصدون هذه المعاني (يقصد القيم)، ولا عنها يتحدّثون؛ فكثير من هذه المعاني دعا إليها الصديق وغمطها العدو، وحُرِّمت الأُمَّة من التحلّي بها بسبب الجهل بوسائل التربية والتدريب الفعّال في مجال تعليمها وتدريب الناشئة على معانيها وممارستها" (أبو سليمان، 1991م، ص56).

ولئن كان التوصيف والتحديد لهما يدخل في باب القيم من الناحية النظرية وما يدخل في باب السلوكات والتطبيقات والنتائج يحتاج - في نظرنا - إلى مزيد من التدقيق تحقيقاً لهذه المنهجية في الفصل، فإنّ الدعوة إلى التمييز والفرقة بين الأمرين من الناحية المنهجية على سبيل الترتيب والتكامل يُعدُّ - بحدّ ذاته - قضية مركزية في مشاريع الإصلاح كما سيأتي بيانه في شقّ التنزيل من هذا العرض.

وخلاصة القول إنّ أوجه الخلل في الخطاب التربوي تمثّلت في ضمور الإرادة وانطفاء الوجدان، وتلك نتيجة طبيعية لضمور مهارات التفكير والنقد والتحليل، ثمّ انطفاء القدرة على المبادرة والابتكار واقتراح الحلول. وقد أفرد عبد الحميد أبو سليمان كتابه القيم "أزمة الإرادة والوجدان المسلم: البُعد الغائب في مشروع إصلاح الأُمَّة" (أبو سليمان، 2004م)، الذي ألّفه بعد كتابه "أزمة العقل المسلم"، لكشف الأعطاب التي أدّت إلى ضمور الإرادة وانطفاء الوجدان بعد تشوّه المفاهيم والأفكار.

وإنّ الناظر في الكتابين معاً، إضافة إلى كتاب "الرؤية الكونية الحضارية القرآنية: المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني"، وختاماً بكتاب "انهيار الحضارة الإسلامية وإعادة بنائها" الذي مثّل خلاصة جامعة للمشروع الإصلاحي للأستاذ أبو سليمان، ولا سيما من الناحية التطبيقية العملية، يخلص إلى اكتشاف التناسق الواضح بين الرؤية والمشروع. فالكتاب الأوّل ركّز على المفردة المركزية الأوّلى في هذا المشروع الكبير؛ وهي إصلاح الفكر بعد تشخيص أزمة العقل، مع الإشارة في الكتاب إلى قضايا القيم والوجدان على سبيل التمثيل والتأسيس لهما سيأتي تفصيله تشخيصاً وبناءً في الكتاب الذي خصّصه للمفردة المركزية الثانية في مشروعه الإصلاحي ذات الصلة بمجال الإرادة

والوجدان. ولئن كانت كُتِبَ التربية المُتخصِّصة في التصوُّف والأخلاق قد ربطت بين الوجدان والسلوك والتزكية والتربية الذاتية المريدية، فإنَّ الجديد في هذا المجال -بالنسبة إلى أبو سليمان- هو الربط بين الوجدان والإرادة؛ ما جعل فلسفة الكتاب وموضوعه نظرة جديدة لتفعيل الجمع بين الفكر والوجدان في إعادة إطلاق طاقة الإنسان وإرادته نحو الفعل والإنجاز عَوْض الانشغال بالخلاص الذاتي.

### ث. التنبيه إلى قضايا غُفِلَ عنها في مشاريع الإصلاح

لم يكتفِ عبد الحميد أبو سليمان في تشخيص واقع الإصلاح وحركيته وتقييم مشاريعه بالتنبيه على التشوُّهات المنهجية التي كانت سبباً في عدم تحقيق عدد من أهدافها ومقاصدها، وإنَّما نبه أيضاً على جوانب أغفلتها هذه المشاريع، سواء على مستوى التنظير، أو على مستوى التنزيل. وهذه أهمُّها: عدم إدراك العلاقة بين المعرفي والنفسي الوجداني، وعدم الاهتمام في التربية بمرحلة الطفولة بوصفها خزان الطاقات المستقبلية التي يُمكن أن تُحدث التغيير على المدى المُتوسِّط والمدى البعيد.

وقد أدَّى إغفال الجانب الأوَّل إلى انفصال التعليم الديني عن التعليم المدني، وتسبَّب إغفال الجانب الثاني في إحالة قضايا الطفل والطفولة إلى المُؤدِّين والمُستغلين بآداب المُتعلِّمين، والمُنشغلين بتبسيط الضروري من علوم الدين، دون أن يدخل الموضوع في صُلب مشروع إصلاحي استشرافي، يضمُّ إلى جانب التأديب تحديث المؤسسات والممارسات عن طريق التكوين والبحث العلمي. وهذا المنحى في التعامل مع الطفل والطفولة دفع بعبد الحميد أبو سليمان إلى أن يُطلق عبارة "الطفل الجندي المجهول"؛ لهما يمتاز به الطفل -في نظره- من قدرة على تلبُّس الأحوال التي تُوفِّر شروط الإصلاح والتغيير التي تنادي بها حركات الإصلاح، وتؤدِّي إلى إعادة تأهيل الفرد المسلم والمجتمع المسلم (أبو سليمان، 2016م، ص 103). قال في ذلك: "إنَّ عدم فهم الإشكال المعرفي، ومن ثمَّ عدم إدراك علاقة المعرفي بالنفسي والوجداني، هما من أهمِّ أسباب انشطار المعرفة الإسلامية إلى معرفة دينية وأخرى مدنية، متواجهتين متنازعتين ومتدابرتين، انتهى الأمر بهما إلى

تهافت الفلاسفة وموات علوم الدين؛ أي الجمود الكليّ القيميّ وضمور دوره، وعقم السُننيّ الإنسانيّ وجوده، وجود ما يلحق به من العلوم والمعرفة الإنسانية. وهذا أورثنا الاهتمام الكميّ بالمعلومات العقيمة، وعدم إدراك علاقتها بالوجداني وآثاره النفسية، فأهملنا العلوم الإنسانية، وأهملنا الطفولة والتربية التي هي مجال التغيير، ومجال تنمية الطاقة، واستثمار القدرات، وتزويد الأمة بخزانات وقود الطاقة النوعية المتنامية اللازمة لمواجهة المتغيّرات والتصديّ لمواجهة التحدّيات" (أبو سليمان، 2016م، ص 262).

### ج. إشكالية الهوية والتنمية في مقاصد مشاريع إصلاح التعليم

حين انفصل التعليم الديني عن التعليم المدني - كما أشرنا إلى ذلك آنفاً- انحصرت مقاصد الأوّل في تثبيت الهوية، واستفرد الثاني بمقصد تحقيق التنمية. وقد أثر هذا الانفصال سلباً في مختلف المنظومات التربوية في العالم الإسلامي حتى اليوم، فلم تستطع منذ هذا الانفصال إيجاد نموذج معرفي وبيداغوجي مُندمج يجمع بين الهوية والتنمية، وظلّ سؤال الهويّات ومرجعيات المنظومات التربوية في البلاد الإسلامية، ولا سيما على مستوى المرجعية الدينية والقيمية والحقوقية واللغوية، مثار نقاش إلى يومنا هذا بين مُركّز على الهوية في انفصال عن التنمية، ومُركّز على التنمية في إهمال للهوية. وقد توسّع هذا الاختلاف حين نزل إلى اختيارات الأسر وطموحاتها في بناء مستقبل أبنائها؛ "فليس لدى جمهرة الآباء عندنا إلاّ المزيد من الأثرة والأنانية، والحرص على لقمة العيش والاستهلاك وتكديس الأموال ما سنحت الفرص، وسمحت الأحوال. أمّا المجتمع، والنظام العام، والمصلحة العامة، والتضامن الاجتماعي، والإخاء الإسلامي والإنساني، والكرامة الإنسانية وحقوق الاستخلاف، ومجتمع القانون، والقيّم، والعدل، والإحسان، ولذّة المعرفة والإبداع، فقد أمست قضايا بديعية جوفاء المعاني في عالم النفاق والصراع والقهر والفساد والتبديد والاستبداد. ولا غرابة في أن نجد المدارس ومؤسسات التعليم والإعلام لا تؤدّي في عالمنا المهتمّات المرجوة منها في تحريج أجيال الكرامة من المواطنين الأقوياء الأمناء الذين يتمتّعون بالقدرة والمبادرة والأداء المُتميّز على مستوى العصر وتحدياته" (أبو سليمان، 2016م، ص 219).

تلكم هي خلاصات التشخيص التي انتهى إليها عبد الحميد أبو سليمان، وأمكن اختصارها في تشوّهات الرؤية الكليّة، والمفاهيم الجامعة، ومنهجية التفكير، وما نجم عنها من أوجه الخلل المُركّبة على مستوى صياغة الخطاب التربوي، مع إغفال قضايا ذات أهمية وضمورها في مشاريع الإصلاح التربوي، وعلى رأسها قضايا الطفل والطفولة، وكذا تنازع الهويّة والتنمية في إصلاح المناهج التعليمية.

فما معالم المشروع التربوي الإصلاحي للأستاذ عبد الحميد أبو سليمان التي يروم بها علاج أوجه الخلل المرصودة، وإطلاق دورة جديدة للتغيير، والانخراط في مسار الحضارة واستعادة روح الاستخلاف؟ وهل يُمكننا الجزم بأنّ هذه المعالم تنسلك في خيط ناظم يُسعِفنا بالقول إنّ أبو سليمان تجاوز الفكر الإصلاحي التربوي النظري إلى بناء مشروع مُتكامل قابل لأن يكون نموذجاً للاحتذاء والاقتفاء؟

ثالثاً: أسس المشروع التربوي للأستاذ عبد الحميد أبو سليمان من التنظير إلى التنزيل:

### المؤسسات والممارسات

تتأسس مشاريع الإصلاح التربوي على قواعد ومبادئ ناظمة، تبدأ بتحديد رؤية الإصلاح ومرجعياته ومبادئه الكبرى، ثمّ تحديد مقاصده وغاياته وأهدافه، ثمّ مؤسساته الحاضنة لمختلف مراحلها (من الطفولة إلى التعليم العالي)، مع تحديد النموذج البيداغوجي الملائم لكل مرحلة، بما في ذلك الخيارات التربوية والخطاب التربوي الملائم، ثمّ تحديد الكفايات العلمية والبيداغوجية للفاعل التربوي مُدرّساً ومُدبراً، إضافةً إلى تحديد الإمكانيات المادية اللازمة للتمويل، وبناء رؤية للتكامل مع المحيط، ولا سيما الأسرة والمحيط الاقتصادي والاجتماعي، ثمّ تحديد آليات التقويم واستثمار نتائجها في التجديد والتطوير، بما في ذلك استثمار نتائج البحث العلمي النظري والتطبيقي في إرساء الإصلاح ومواكبته وصولاً إلى الجودة اللازمة، مع تأطير هذا الورش بكامله بالتشريعات والقوانين الناظمة للتفعيل والتنزيل.

وفي تقديرنا أنه لم يكن من قصد عبد الحميد أبو سليمان بناء مشروع متكامل بهذا التصور الشمولي، وتخصيصه بكتاب خاص يحترم هذه المنهجية التراتبية المعروفة في أدبيات بناء المشاريع التربوية وتنفيذها بما تتطلبه من رؤى وتصورات ناظمة، وآليات تنفيذية مادية وبشرية وقانونية وتقنية، ولكن فكره الإصلاحية التربوية المبثوث في كتبه ومؤلفاته ومقالاته العلمية المنشورة في المجالات المختلفة ومحاضراته التي ألقاها في جامعات كثير من دول العالم، وتجاربه العملية التي خاضها تسييراً وإدارةً وتدبيراً؛ يمكن أن تُشكّل بعد رصدها وتجميعها، ثم إعادة بنائها وقراءتها وفق نسق ناظم، مشروعاً متكامل الأركان، حريّ بالدارسين والمهتمين أن يتسّموا معالمه النظرية وتجاربه التطبيقية، ويستفيدوا منه في بناء مشاريع الإصلاح القائمة، وبناء الإصلاح المنشود على أسس راشدة. وسنحاول في هذا الشق الثاني من هذه الورقة البحثية أن نرصد أهم هذه المعالم على وجه الإجمال؛ لتكون منارة للباحثين على وجه التفصيل.

### 1. رؤية الإصلاح ومرجعياتها

إن الحديث عن الرؤية التي تُعدُّ الإطار الفكري الناظم لأي مشروع إصلاحي يعني - بالضرورة- استحضار الإيديولوجيات والتحيزات. وليس التفصيل في هذا من شرط دراستنا، إلا أننا نُقرُّ بدءاً وختاماً بأهمية التحيز في بناء مشاريع الإصلاح التربوي استناداً إلى حق الأمم والشعوب في ضمان استمرار وجودها الحضاري بالدفاع عن نموذجها التربوي، وبناءً على حق التنوع والاختلاف بوصفه سُنّة كونية تحتاج إلى قدر كبير من حُسن التدبير دون أن تتوسّل بأي أسلوب من أساليب الإلغاء والإقصاء. ولذلك كان التنصيص في الأدبيات التربوية بصفة عامة، وتلك التي لها تعلق ببناء المناهج التعليمية على وجه التحديد، على أن المشاريع التربوية ينبغي أن تتأسس على أربعة مبادئ:

الأوّل: الأساس الفلسفي الذي يشمل التنصيص على الخصوصيات العقائدية لكل أمة من الأمم، ونظرتها إلى الكون والحياة والمصير بوصفها مُحدّدات رئيسة لتكوين رؤية الإنسان، بحيث يُمكنها تفسير مُبررات وجوده وحياته ومصيره.

الثاني: الأساس الاجتماعي الذي يشمل التنصيب على الخصوصيات الاجتماعية والثقافية لكل بلد، وعلاقتها بحاجاته التنموية على المدى القصير والمدى المُتوسِّط.

الثالث: الأساس النفسي الذي يشمل التنصيب على أخذ الجوانب النفسية والعاطفية والوجدانية الدينية والوطنية للأُمَّة بالاعتبار، وضرورة مراعاة ذلك في المُتعلِّمين على اختلاف أعمارهم بصفة خاصة.

الرابع: الأساس المعرفي الذي يشمل التنصيب على الخيارات العلمية والمعرفية التي تُقدَّر الميراث الفكري والثقافي للبلد، وتضمن انفتاحه على الكسب الإنساني في جميع الفنون والعلوم والمعارف، وبمختلف الوسائل والمهارات.

تلكم هي المُحدِّدات الكُبرى لبناء أيِّ مشروع للإصلاح التربوي قابل للتنفيذ من طَرَف أيِّ بلد يحترم خصوصياته الحضارية، ويسعى بجِدِّ إلى التفاعل الإيجابي مع الآخر. وفي هذا السياق، لا يُمكن لأَيَّة منظومة تربوية أن تعتمد مرجعيات مُتعدِّدة ومُتمايزة بحالٍ؛ لأنَّ كل مشروع لا يعرف صفاءً في الرؤية ووضوحاً في المرجعية والمُنطلقات سيؤثِّر سلباً في تكوين الخرائط المفاهيمية للمُتعلِّمين، ثمَّ يُؤثِّر في كفاياتهم المعرفية ومنظومتهم القِيَمية؛ ما يُسقطهم من جديد في متتالية التشوُّهات التي نبَّه عليها عبد الحميد أبو سليمان كما أشرنا إلى ذلك في سَقِّ التشخيص من هذه الورقة البحثية.

إنَّ القدرة على تشخيص الأعطاب وتحديدتها وحصرها جعلت معالم الرؤية المرجعية الفكرية والتربوية للمشروع لإصلاحه للأستاذ عبد الحميد أبو سليمان أكثر وضوحاً في مرحلة اقتراح البدائل، وإنَّ المُتَّبِع أفكاره يجده يعتمد منهجية مُندجِجة بين التشخيص والاقتراح، وهي المنهجية نفسها التي اعتمدها في تحديد رؤيته للإصلاح التربوي ومبادئه ومرجعياته، وتسكينها في رباعية تكاملية: "الوحي، والفطرة الإنسانية، والسُنن الكونية، والواقع؛ فهي مصادر المعرفة الإسلامية، حيث الوحي تعبير عن الفطرة الإنسانية، وتوعية بشأنها، وهداية لها، وتمكين لحمل أمانة مسؤوليتها في الاستخلاف الذي هو في الأصل فطرتها، وليس أعباء ولا تكاليف لا وجود لها في أصل فطرتها،

ويكون العقل السليم وبدهيته هو أداة منهج النظر والبحث والدرس في فهم الوحي، ومعرفة الفطرة، وُسْنَن الواقع " (أبو سليمان، 2011م، ص 84).

إنَّها منهجية معيارية تكاملية يقابل فيها الوحي الأساس الفلسفي في مرجعيات بناء مشاريع الإصلاح التربوي، ويقابل فيها العقل الأساس المعرفي العلمي، وتقابل فيها الفطرة الإنسانية الأساس الوجداني والنفسي، وتقابل فيها السُّنَن الكونية الأساس الاجتماعي العمراني. وانطلاقاً من هذا التكامل، استخلص الدكتور عبد الحميد خصائص هذه الرؤية التكاملية؛ "فهي رؤية كونية خيرية سُنَّية إيمارية تُعبّر عن روح الفطرة الرحبة السوية، وتُرشدّها، وتزوّد الإنسان بالدافعية والطاقة الوجدانية اللازمة لبناء الحضارة الخيرة وإعمار الأرض؛ لأنَّ الاستخلاف والحضارة في جوهره هو الوعي والحضور الإيماري الخير في الزمان والمكان، والذي هو غاية الرؤية القرآنية الكونية الحضارية" (أبو سليمان، 2009م، ص 55).

إنَّ المُتأمل في هذه الرؤية وعناصرها وخصائصها يجد أنَّ صاحبها قد تَخَلَّص من الأسلوب التقليدي في صياغة مرجعيات مشاريع الإصلاح التربوي التي تُركّز عادةً على إبراز الخصوصيات الدينية والحضارية والاجتماعية لكل بلد أو قُطر، واخترق حواجز الإيديولوجيا والتحيزات التي تميز بها مشاريع الإصلاح بعضها عن بعض، ويعود ذلك -في نظرنا- إلى سببين؛ أولهما: طبيعة المرجعية الإسلامية المُستوعبة للتنوع والاختلاف، والقاصدة إلى خدمة الإنسانية بمبادئ الاستخلاف والعمران. وثانيهما: رؤية الرجل المُنفَتحة وقراءته الواعية لتكامل الخصوصي والكوني في بناء مشاريع الإصلاح بصفة عامة، والتربوي منه على وجه الخصوص، وهو ما يتجسّد في قوله رحمه الله: "فدون وضوح الرؤية، ودون معرفة الذات، ودون تنقية الثقافة، ودون التوقّف عن التقليد والمحاكاة العمياء، ودون علاج أبناء الأُمَّة من الأمراض النفسية للانحراف والتخلّف، ودون فهم الآخر الغربي وفهم سُبُل التعامل الفعّال معه؛ فإنَّه لا سبيل إلى التجديد والقدرة والإصلاح واستعادة مكان الأُمَّة في مقعد قيادة الحضارة لإصلاحها وترشيد مسارها" (أبو سليمان، 2003م).



وهكذا يتَّضح من هذا النص أنَّ الرجل بقدر ما كان مُشغلاً بإصلاح حال الأُمَّة الإسلامية، فإنَّه لم يفصل ذلك عن أوسع دائرة اهتمَّ بها الإسلام، وهي إصلاح حال الإنسانية جمعاء حتَّى يستقيم العمران في الكون، ويُحفظ الميزان.

## 2. مقاصد المشروع وغاياته

انعكست هذه الرؤية التكاملية عملياً على المشروع الإصلاحي التربوي للأستاذ أبو سليمان، وأسهمت في تحديد غايات هذا المشروع ومقاصده، وهي:

أ. إعادة بناء الرؤية الإسلامية الإيمانية التوحيدية الاستخلافية الأخلاقية.

ب. بناء العقلية العلمية الإسلامية.

ت. تنقية الثقافة والتراث من مدسوس الخرافة والشعوذة.

ث. حماية العقل المسلم من سوء استعمال ما ورد من لمحات نصية في عالم الغيب، وما جَنَّ من عوالم الكون، وما سلف فيما سبق من مراحل الإنسانية وعصورها من معجزات الرُّسل، بحيث لا تصبح تلك اللمحات موضعاً لسوء الفهم والتأويل على غير ما تقتضيه مقاصد الشريعة وكلياتها (أبو سليمان، 2016م، ص 253).

إنَّ المتأمل في هذه المقاصد والغايات يجد فيها تركيزاً على الإصلاح الفكري بوصفه مدخلاً إلى الإصلاح التربوي الشامل، وانسجاماً بينها وبين مخرجات التشخيص التي ركَّزت في -مُجملها- على التشوُّهات الفكرية، سواء في الرؤية، أو المنهجية، أو المفاهيم؛ ما انعكس على الفكر التربوي، ثمَّ على صياغة مشاريع الإصلاح التي ينبغي أن تبدأ بالتربية وصولاً إلى تصحيح الرؤية، وتخليصها ممَّا شابهها من تشوُّهات. ويُعدُّ التناسب بين مخرجات التشخيص ومقاصد التغيير والتجديد في المنظومات التربوية أحد معايير تقييم مدى صدقها وجودتها، وهو شرط مُتوافر في هذا المشروع التربوي الذي ترسَّنا معاملة في فكر أبو سليمان رحمه الله.

## 3. مؤسسات المشروع وحاضناته التطبيقية

لا شك أن كل مشروع تربوي نظري يجب أن يُنفذ عملياً في مؤسسات تحتضنه في مختلف مراحل التعليم. وقد شكّل الاهتمام بمرحلة الطفولة، إضافةً إلى بناء نموذج تعليمي مدرسي يركز على التكامل بين الهوية القِيَمية والتنمية، مع إعداد الكوادر العلمية المُتخصّصة في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية عن طريق تطوير التعليم الجامعي؛ كل ذلك شكّل ثلاثة التنزيل والتنفيذ في المشروع الإصلاحية للأستاذ عبد الحميد أبو سليمان على مستوى المؤسسات.

وَيُمْكِنُ للباحثين تخصيص كل مجال من هذه المجالات الثلاثة ببحث مُستقلّ، يكشف الرؤية الإصلاحية للأستاذ أبو سليمان على وجه التفصيل، والمقترحات الإجرائية التطبيقية اللازمة لبنائه، وتنزيل مقتضياته على أرض الواقع في صورة مؤسسة مُستقلّة لها أهدافها وإجراءاتها التنفيذية المُحدّدة، فيقفون بذلك على مادة علمية زاخرة بالدلالات، وغنية بالمعطيات والتوجّهات. فالرجل لم يكتفِ فقط بالتنظير، وإنما سعى لتنزيله عن طريق مؤسسات أشرف على بعضها، ووضع الأسس التنفيذية لبعضها الآخر، مثل: مؤسسة تنمية الطفولة؛ وهي مؤسسة إسلامية بحثية تربوية مُستقلّة، أنشأها المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم عمل على دمج مشاريعها التربوية فيه. وكذلك الجامعة الإسلامية العالية في ماليزيا<sup>2</sup>، والمدارس التعليمية التابعة لها التي تحوّلت -فيما بعد- إلى مقترح مشروع لتأسيس المدارس الإسلامية العالمية (مدارس التفوّق الحضاري)، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي بوصفه مؤسسة فكرية أكاديمية مُتخصّصة في البحث العلمي في مجال تجديد الفكر الإسلامي وربطه بقضايا العصر ومُستجدّاته (أبو سليمان، 2016م، ص 264 وما بعدها).

<sup>2</sup> "الجامعة الإسلامية العالمية هي تطبيق عملي لمدرسة فكر الإحياء والتجديد، وتحسيد عملي منهجي لها. فمنهاج الجامعة وخطّتها العملية إنّما تمثّل خلاصة الدروس المستفادة من فكر المُجدّدين المُجتهدين الذي ينطلق من منهج التكامل بين الجزء والكل والمثال والواقع وبين آيات الوحي وآيات الكون في الطابع والوقائع." انظر:  
- افتتاحية العدد الأوّل من مجلّة "التجديد" التي تُصدّرها الجامعة، وقد كتبها الدكتور عبد الحميد أبو سليمان بوصفه رئيساً للجامعة، وحملت عنوان: "التجديد ومدرسة منهج"، وحدّد فيها منهج الجامعة، وخصوصيات برامجها، ومعالم التكوين والبحث بها.

ولمّا كانت أهمُّ مؤسسة جسّدت التلاقي بين التنظير والتنزيل في المشروع التربوي للأستاذ أبو سليمان هي الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، التي ترأسها طوال عشر سنوات، فقد خصّصها بفصل متكامل في كتابه "الإصلاح الإسلامي المعاصر"، الذي بيّن فيه دور التعليم العالي في الإصلاح على وجه الإجمال مع تفصيل الكلام عن مشروع الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، وأبرز موقع التعليم العالي من الإصلاح الحضاري الإسلامي، وشخص أدواء التعليم العالي وآفاته في البلاد الإسلامية، ثمّ بسط رؤية "إسلامية المعرفة" في تفعيل التعليم العالي نظرياً وتطبيقياً عن طريق عرض تجربة الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا من حيث المحتويات المعرفية التكاملية بين معارف الوحي الإنساني العلوم الإنسانية، أو لغات التدريس وتدرّيس اللغات، أو تنمية المعرفة والبحث العلمي، أو الموارد والتمويل، مع تحديد آفاق مستقبلية واعدة لهذه الجامعة بوصفها أهمّ نموذج للتنزيل العملي لمشروعه الإصلاحية التربوي. وقد اشتملت مقالات الرجل في مجلّة "التجديد" التي أصدرتها الجامعة الإسلامية العالمية، وفي مجلّة "إسلامية المعرفة"، وفي بقية كتبه ومؤلفاته أثناء رئاسته الجامعة وبعدها، على تفاصيل التجربة وخصائصها التي تعكس حدود التداخل بين التنظير والتنزيل في مشروع الرجل، التي يُمكن الاستفادة منها في التقويم والتخطيط والاستشراف.

#### 4. معالم النموذج البيداغوجي للمشروع

بعد تحديد المرجعيات والمبادئ ثمّ الغايات والمقاصد وبناء منظور متكامل لتحقيق هذه الأهداف عن طريق مؤسسات محدّدة، فإنّ تحديد النموذج البيداغوجي المُعتمَد في هذه المؤسسات يُمثّل قطب الرّحى في أيّة منظومة تربوية، وأساساً من أسس مشاريع الإصلاح في مجال التربية والتعليم. ولئن كان عبد الحميد أبو سليمان لم يقصد إلى الجواب مباشرة عن هذا السؤال في معظم كتاباته الإصلاحية وإفراده بعنوان خاص، فإنّ قراءة فاحصة في تفاصيل فكره التربوي تُسعفنا بتحديد أهمّ معالم هذا النموذج.

### أ. في مؤسسات رعاية الطفولة

تتجلى خصوصيات النموذج البيداغوجي الذي اقترحه عبد الحميد أبو سليمان - في هذه المرحلة- في اعتماد المدخل الوجداني النفسي مرتكزاً بيداغوجياً في أساليب بناء كل المعارف، بما في ذلك تعليم العقيدة والأخلاق. وقد حُصَّص أبو سليمان غايات هذا الاختيار البيداغوجي بقوله: "إنَّ الإصلاح الثقافي التربوي ينبغي أن يمتدَّ إلى كل جوانب التكوين المعرفي والنفسي والوجداني للطفل والناشئة، وأن يُوظَّف لخدمة التكوين السليم لعقلية الطفل ونفسيته، والجانب الديني والعقدي هو من أهمِّ هذه المُكوِّنات. ويجب أن يكون الخطاب النبوي الودود على أساس من التدبُّر والفهم العلمي والسُنَّي هو الدليل والأساس في بناء المناهج التربوية المعرفية والنفسية والوجدانية للطفولة." (أبو سليمان، 2016م، ص 234 وما بعدها). وفي هذا السياق، ركَّز أبو سليمان على ضرورة تكامل الأدوار بين المدرسة والأسرة، ودعا إلى إيلاء التربية الوالدية أهمية كبرى في تحقيق هذا الهدف، وذلك بالرفع من منسوب الوعي التربوي للأبوين عن طريق برامج تكوينية وتدريبية مُتخصِّصة كما سيأتي بيانه.

### ب. في المؤسسات التعليمية المدرسية

بناءً على التجارب والخبرات العملية لبعض الجامعات الغربية، فإنَّه من المُفترَض أن يستند النموذج البيداغوجي الذي اقترحه عبد الحميد أبو سليمان - في هذه المرحلة- إلى خلاصات التجريب الخاصة بمشروع احتضان الجامعة الإسلامية العالمية لمؤسسة تعليمية مدرسية (الجامعة الحاضنة)؛ بُغْيَةَ الاستفادة من أحدث خبرات البحث العلمي التربوي ونتائجه في الجامعة من جهة، وإعداد هذه المؤسسة التعليمية بحيث تكون فضاء للخبرات التطبيقية للجامعة من جهة أخرى. وهذا يتطلَّب الانسجام مع الخيارات البيداغوجية التي تُقرِّرها الجامعة لهذا المستوى من التعليم نظرياً، إلى جانب ما يُطبَّق فيها عملياً، مع التكيف والمواكبة والتطوير؛ وهي التجربة التي طبَّقتها أبو سليمان في الجامعة الإسلامية العالمية التي ترأسها.

## ت. في التعليم العالي

إذا كانت الغاية الكبرى من التعليم العالي هي إعداد الكوادر المُثَقَّفة العلمية والتقنية والفنية، ولا سيما في مجال العلوم العقدية والقانونية الفقهية والاجتماعية والإنسانية، فإنَّ النموذج البيداغوجي الأنسب لتحقيق هذه الغاية - في نظر عبد الحميد أبو سليمان - يتمثل في القطع من الأحادية المعرفية، وتبني خيار التخصص المُزدوج في مسارات تجمع بين معارف الوحي والعلوم الإنسانية والاجتماعية، والجمع بينها وبين التخصص في التربية، وغير ذلك من النماذج المُتكاملة في التكوينات الجامعية، والهادفة إلى تحقيق التكامل المعرفي بين المعارف والعلوم، بما يتطلبه ذلك من إجراءات "الإصلاح المنهجيات العلمية التي تُدرَّس في مراحل التعليم العالي، بتوحيد هذه المناهج ومصادر المعرفة فيها، وتكاملها إسلامياً وسُنَّياً، بالإضافة إلى اعتماد وسائل الاتصال والتعليم الإلكتروني، وتشجيع البحث العلمي وتحسين مستواه، مع اعتماد اللغة العربية في تدريس كل التخصصات، في تكامل مع اللغات الأخرى عن طريق الترجمة؛ حتَّى نصل شرابين ثقافتنا ومؤسساتنا العلمية بنتاج الحضارة الإنسانية من خلال ترجمة الدوريات العلمية المُهمَّة التي يُنشر فيها الجيّد من الأبحاث والكشوفات العلمية." (أبو سليمان، 2016م، ص 245 - 246).

وهكذا تتضح المعالم الكبرى للنموذج البيداغوجي التكاملي الذي اختاره عبد الحميد أبو سليمان على مستوى الممارسة، مع تكييفه لئناسب طبيعة كل مرحلة من المراحل التعليمية، وتعزيزه المُستورِّ بنتائج البحث العلمي في مجال التربية خاصة والعلوم الإنسانية والاجتماعية بوجه عام<sup>3</sup>

<sup>3</sup> خصَّص الدكتور عبد الحميد أبو سليمان موضوع خصائص المراحل العمرية وخصوصيات الخطاب المُوجَّه إليها بورقة علمية له، حملت عنوان: "أهمُّا التربويون: الرؤية الحضارية الكونية، ثمَّ التربية، ثمَّ التربية، ثمَّ التربية"، ونُشرت في مجلَّة إسلامية المعرفة، عدد 71، سنة 2013م.

ومن الموسوعات المُهمَّة في تحديد الخطاب التربوي وتحليله بحسب المراحل العمرية: "موسوعة الأدلة المقاصدية" التي صنَّت ثمانية أجزاء، خصَّص كل جزء منها لمرحلة من المراحل العمرية، يبرز خصائصها النهائية الفسيولوجية والنفسية والوجدانية والإدراكية، وتحديد قصد الشرع من تربيتها وتكوينها وتوجيهها، وخصوصيات الخطاب المُوجَّه إليها، وبسط الوسائل والطرائق المناسبة لها؛ ما يجعل منها موسوعة لا غنى عنها في صياغة النظرية التربوية الإسلامية وطرائق تفعيلها وتنزيلها. وقد

(أبو سليمان عدد 71، 2013م) ولذلك لم نستغرب حين وجدنا التعليم -على اختلاف مراحل- شأنًا جامعيًا في رؤية أبو سليمان، من مرحلة الطفولة إلى مرحلة التعليم العالي؛ لأنَّ تدبير كل هذه المراحل على أساس مخرجات البحث العلمي وتطوُّراته هو المسلك الذي يضمن له أكبر قدر من النجاح.

### 5. كفايات الفاعل التربوي

من مقوّمات تنزيل أيّ مشروع إصلاحٍ تربوي، وجود كوادِر مُؤهّلة تعمل على تنفيذ مقتضياته وتنزيل توجّهاته. وقد تبّه عبد الحميد أبو سليمان لهذا المُكوّن، فأولى التربويين العناية اللازمة في مشروعه، وحدّد مؤهّلاتهم وكفاياتهم المعرفية والمهارية والنفسية الوجدانية والقيمية التي تمكّنهم من أداء رسالتهم ووظيفتهم على أكمل وجه. وهو ما أشار إليه في أكثر من كتاب وورقة علمية في سياق الحديث عن مقوّمات الإصلاح وأُسسه إلى أن أفرد بورقة علمية خاصة مثّلت رسالةً وجّهها إلى التربويين، وحملت عنوان "أيها التربويون، الرؤية الحضارية الكونية، ثمّ التربية، ثمّ التربية، ثمّ التربية"، في إشارة إلى مركزية هؤلاء في مشروعه الإصلاحي، مُضمّنًا إيّاها رؤيته لنموذج الفاعل التربوي الذي تناط به مهمة تنزيل مقتضيات المشروع التربوي الإصلاحي في مختلف المراحل التعليمية. وقد اشتملت هذه الرسالة على معطين رئيسين:

أ. عدم تركيز أبو سليمان على المُدرّس وحده، بل عدّه جزءاً لا يتجزأ من المنظومة المُشرفة على التربية أو المُؤثّرة فيها؛ أيّ الدعاة، وأئمة الجُمع، والوالدين.

ب. تضمين أبو سليمان الرسالة برنامجاً تكوينياً لفائدة هؤلاء؛ ما يُمكّنهم من امتلاك تلكم الكفايات المعرفية والمهارية والتواصلية الواجب توافرها لأداء المهام المُحدّدة في تكامل مع المدرسة النظامية.

وبالمثل، فقد خصّ المُدرّسين وأساتذة التعليم العالي -في غير هذه الرسالة- بتنبهات خاصة؛ نظراً إلى محورية أدوارهم ومركزيتها في تنزيل مشروع الإصلاح التربوي المنشود. وفي هذا السياق، قال

---

أعدّ الموسوعة خبراء من المغرب والمملكة العربية السعودية بالشراكة بين مركز قراءات لبحوث ودراسات الشباب بالسعودية، ومركز المقاصد للدراسات والبحوث بالمملكة المغربية، وتشرفّت بإدارة فريق الخبراء المُكلّفين بإعداد هذه الموسوعة. وقد صدرت طبعتها الأولى برعاية الجمعية الخيرية السعودية عام 2016م.

عبد الحميد أبو سليمان في ورقة حملت عنوان "صفات المُربي الناجح": "إنَّ على المُربي إذا شاء أن ينجح في مهمته أن يتسلَّح ويتلبَّس بالمعرفة والحُبِّ والإكرام والاحترام، وبالعدل والصبر والبذل؛ فهذه هي الأسس التي لا بُدَّ منها لتربية العقول والنفوس، وإعدادها لتحمل المسؤوليات، وهي التي تُكوِّن معادن النفوس في كل أُمَّة وفي كل أرض" (أبو سليمان، 2016م، ص 193 وما بعدها).

## 6. التكامل مع المحيط (الأسرة والتربية الوالدية)

أشار عبد الحميد أبو سليمان إلى التربويين بصيغة الجمع في كتاباته وبحوثه، قاصداً بذلك عدداً من الفئات ذات الصلة بالتربية؛ إذ لم يكتفِ أبو سليمان فقط باستنهاض همم المُدرِّسين في المؤسسات التعليمية، وإنما راهن على أدوار الفاعلين في المحيط أيضاً، ولا سيما الأسر منهم، في إنجاح المشروع التربوي؛ لذا كانت الأسرة حاضرة بقوة في مشروعه التربوي نظرياً وتنفيذاً. وقد شكَّل كتاب "دليل مكتبة الأسرة المسلمة" كِبنة أساسية في منظومة المشروع بوصفه دليلاً هادياً ومُوجِّهاً إلى ما لا تستغني عنه الأسرة المسلمة من كُتُب ومؤلِّفات تُمكنها من امتلاك الكفايات المعرفية والتربوية والتواصلية والفنية التي تُوظِّفها في أداء أدوارها التربوية والتكوينية والتوجيهية. وفي معرض تقديم هذا المشروع وبيان الغاية منه، قال أبو سليمان: "تقوم فكرة الكتاب على اختيار مجموعة من الكُتُب الموثوقة في شتى حقول المعرفة التي تحتاج إليها الأسرة المسلمة، تتوزَّع على فصول حسب موضوعاتها، بحيث تُؤمِّن الكُتُب الحدَّ الأدنى المشترك لتكوين ثقافة مُتكاملة، تمنح أفراد الأسرة المسلمة حصانة فكرية، وتزيد من خبرتهم ووعيهم، وتساعدهم على تطوير أنفسهم باستمرار. وتتحدَّد الغاية من هذا العمل في:

أ. إعطاء المعلومات الصحيحة والكافية بما يُوفِّر للأسرة المسلمة إمكانية الحصول على مكتبة أُسرِيَّة مُتكاملة داخل كل بيت.

ب. فتح الطريق أمام الهيئات والمؤسسات الإسلامية المختلفة لإصدار طبعات مُوحَّدة وبأسعار

مناسبة لهذه المكتبة التي ينظمها هذا الدليل" (أبو سليمان، 1995م).

ولمّا كان التكوين والتدريب شأنًا علميًا أكاديميًا تُشرف عليه مؤسسات مُتخصّصة في التربية الوالدية، فقد طوّر عبد الحميد أبو سليمان - بالتعاون مع رفيق دربه الدكتور هشام الطالب وابنه الدكتور عمر الطالب - مادة علمية تربوية أفضت إلى تأليف كتاب "التربية الوالدية: رؤية منهجية تطبيقية في التربية الأسرية"، الذي يُمكن عدّه أوفى كتاب نظري وتطبيقي في الموضوع يصلح أن يكون مادة علمية للتدريب والتكوين في المؤسسات التربوية المُتخصّصة، سواء في الجامعات، أو المؤسسات التعليمية؛ نظراً إلى أخذه من المرجعية الإسلامية اختياراتها وتوجّهاتها ومقاصدها، واستفادته من التجارب والمدارس التربوية العالمية المرموقة، ولا سيما على مستوى الطرائق والوسائل والأساليب. وقد صدر هذا الكتاب بادئ الأمر باللغة الإنجليزية، ثمّ تُرجم وطُبع باللغة العربية في حلّة أنيقة مُعزّزة بالبيانات والصور، وحدّد المؤلفون الغاية الرئيسة من الكتاب بقولهم: "من الضروري أن يعرف الآباء عملياً كيف ينشئون أبناء صالحين؛ ذلك أن الأسس النفسية للمنظومة القيّمية وأنماط الشخصية تتكوّن بشكل كبير من المحضن (البيت) أثناء الطفولة المُبكرة؛ لذا جاء تركيزنا بالدرجة الأولى على التدريب على المهارات الثقافية والتربوية والاجتماعية في البيت بوصفه أساس التكوين النفسي والوجداني للطفل" (الطالب، وأبو سليمان، 2019م، ص 23).

ونظراً إلى مركزية الفاعلية الأسرية في تنزيل مشروع الإصلاح التربوي؛ فقد تنبّه عبد الحميد أبو سليمان لأهمية تكوين خبراء مُتخصّصين في هذا المجال، فأحدث أثناء رئاسته الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا برنامجاً دراسياً في قسم التربية لتكوين خبراء في التربية الأسرية والوالدية، حمل اسم "دراسات الأسرة والأبوة"، ووفّر له الكوادر اللازمة لجعله مساقاً علمياً من مساقات الجامعة ومُتطلّباتها الإلزامية (أبو سليمان، 2011م، ص 154).

#### 7. التخطيط والتقويم والتطوير: البحث العلمي رافعة لإرساء الإصلاح ومواكبته

حذا أبو سليمان في مشروعه حذو جميع المشاريع التربوية التي تحترم معايير الجودة، فعهد إلى مؤسسة مُتخصّصة في التخطيط والتقويم والتطوير بالإشراف على المشروع، ولا سيما على مستوى



الخيارات البيداغوجية، وبناء البرامج والمناهج، وإعداد الدلائل المرجعية العلمية والتربوية المناسبة لكل مرحلة من المراحل التعليمية. وقد حضر هذا المُعطى نظرياً وتطبيقياً في مشروع الإصلاح التربوي للأستاذ عبد الحميد أبو سليمان رحمه الله؛ إذ عمل على تأسيس مركز مُتخصّص في هذا المجال بالجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، إلى جانب احتضان الجامعة مؤسسة تعليمية تطبيقية تضمُّ مراحل التعليم ما قبل الجامعي "في ضوء الخُطّة التي رسمها الدكتور عبد الحميد، وبإشراف مباشر من إدارة الجامعة، وبالتعاون مع عدّة لجان مُتخصّصة من الأساتذة الجامعيين في مختلف المجالات الأكاديمية، قام المركز بوضع مُسوّدات أولية لمناهج تربوية لمختلف مراحل التعليم العام. وقد تمَّ فعلاً إقامة مدرسة تابعة للجامعة، تشتمل على مختلف مراحل التعليم، نُفّذت فيها تلك المناهج التي يُرجى أن تستمرَّ على النمط والغايات التي أُقيمت من أجلها، وأن يستمرَّ مركز الأبحاث التربوية في تطوير تلك المناهج، وأن ينجح في تأليف كُتب منهجية كاملة على أساس تلك المناهج التربوية المُطوّرة" (أبو سليمان، 2016م، ص 257).

ولا شكَّ في أن هذا الخيار الذي يعكس صحّة قرار القائمين على المشروع؛ بإسناد مختلف مؤسساته بخبرات البحث العلمي في التشخيص والتقييم والتجديد والتطوير والجودة، يُعدُّ المسار الأنسب لضمان استمرارية المشروع ونجاحه على الصعيد المحلي، وضمان إشعاعه على الصعيد الدولي<sup>4</sup> (دليل الجودة لمؤسسات التعليم العالي العربية، 2017م).

<sup>4</sup> تعتمد مختلف الجامعات بالتعليم العالي أنظمة للتقييم والجودة والاعتماد؛ إمّا على المستوى الذاتي، وإمّا على المستوى الوطني، وإمّا على المستوى الدولي، وذلك ضماناً لحركية الطلبة بين الجامعات، وتبادل التجارب والخبرات في مجال التكوين والاعتراف بالشهادات، وتعزيز الشراكة في مجال البحث العلمي على الصعيدين الإقليمي والدولي. ومن مشاريع التعاون الإقليمي في هذا المجال:

- دليل الجودة لمؤسسات التعليم العالي العربية الصادر عن اتحاد الجامعات العربية، الأمانة العامة، مجلس ضمان الجودة والاعتماد، عمّان، المملكة الأردنية الهاشمية، 2017م.

- الأدلة المرجعية للجودة التي طوّرتها كلٌّ من: الشبكة الأوروبية لضمان الجودة في التعليم العالي ENQA، ورابطة الجامعات الأوروبية EUA، والرابطة الأوروبية لمؤسسات التعليم العالي EURASHE.

## خاتمة

تلكم هي أبرز سمات المشروع التربوي التعليمي للأستاذ عبد الحميد أبو سليمان؛ تشخيصاً، وتنظيراً، وتنفيذاً على مستوى المؤسسات والممارسات؛ هذا المشروع الذي يتجذر في مرجعيته التأسيسية ضمن المشروع الكبير "إسلامية المعرفة"، بدءاً بإصلاح مناهج الفكر والتفكير، وتنقية الثقافة الإسلامية من كل الرواسب والشوائب التي علقت بها على مرّ التاريخ، ثمّ العمل على إصلاح المؤسسات والممارسات التربوية بمختلف مستوياتها، مع تأكيد الاهتمام ببناء الأسرة لتوفير المحضن التربوي اللازم لتنشئة الطفل متكامل الشخصية، الذي يُعدُّ أمل الإصلاح وخميرته وطاقاته المستقبلية، إضافةً إلى توفير التكوين اللازم والوسائل العلمية والتربوية للمُدْرِّسين خاصة والتربويين عامة في مختلف هذه المؤسسات ليتمكّنوا من أداء أدوارهم على أكمل وجه، مع إسناد كل ذلك بنتائج البحث العلمي النظري والتطبيقي؛ تخطيطاً، وتنفيذاً، وتقويماً، وتطويراً، وجوداً.

وبعد أن استعرضنا في هذه الجولة السريعة الأثر الفكري والتربوي للرجل، وعملنا على تجميع أفكاره ومقترحاته وتطبيقاته ذات الصلة بالتربية وتصنيفها وترتيبها وفق الأنساق المتعارف عليها في بناء المشاريع التربوية، فقد انتهينا إلى الوقوف حقاً على مشروع إصلاح التربوي متكامل العناصر، ينطلق من قضية مركزية واضحة، تلتخص في أن أزمة التربية هي من أزمة الفكر، وأن إصلاح الفكر يبدأ بالبناء التربوي، مُثَمِّلاً في مشروع يستند إلى نتائج التشخيص والتقويم، وينسلك ضمن رؤية واضحة في مستنداتها ومرجعياتها ومُحدِّد الغايات والمقاصد بشكل دقيق، ويعتمد خيارات بيداغوجية مُميّزة لكل مستوى من المستويات وكل مجال من المجالات التنفيذية، ويرسم معالم مُوجِّهة للخطاب التربوي تراعي خصوصيات المُخاطَب، وحاجياته العمرية، وسياقات بيئته الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية؛ إنّه مشروع سبق أن خضع للتجريب في مؤسسات وممارسات عملية قابلة للتقييم؛ للوقوف على صلابة الرؤية النظرية، وفاعلية الأداء وجودته على مستوى التنزيل، وقابليته للتطوير بناءً على مخرجات التقييم ومُستجدّات الواقع. وهو كذلك مشروع قابل للتكيّف مع

السياقات المختلفة حتى يكون مستجيباً لحاجياتها؛ مشروع مُنبثق من الخصوصيات المرجعية والحضارية الإسلامية على مستوى المرجعيات والغايات والمقاصد، ومُنفتح -في الوقت نفسه- على التجارب الإنسانية المختلفة على مستوى الوسائل والطرائق والأساليب والتقنيات. وتلكم هي - إذن- أهمُّ الدعامات والأسس التي ينبغي أن تشمل عليها المشاريع التربوية لكي تصبح قابلة للتنفيذ، وتتوافر فيها ضمانات النجاح ومُقوماته.

وبناءً على هذه الخلاصة العامة والجامعة، فإننا نقترح التوصيات الآتية:

1. تشكيل عناصر هذه الورقة البحثية العلمية خريطة طريق لمشروع بحث أو بحوث على مستوى سلك الدكتوراه، يُمكنها الرصد والتتبع والتحليل لكل تفاصيل المشروع وعناصره، وقراءتها، وتحليلها في سياقاتها الفكرية والاجتماعية وأبعادها المعرفية والمنهجية، مع بيان كيفية الاستفادة من هذا المشروع في إرساء تجارب تربوية وتعليمية استشرافية ناجحة.
2. استخلاص مشاريع للبحث العلمي (النظري، والتطبيقي) في المجال التربوي، تشتغل بها مراكز البحث العلمي المُتخصّصة بالتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي ومؤسساته الشريكة، وفق خطة مُتوسطة المدى، يُستقطب لها أكثر الباحثين كفاءةً وتميزاً وخبرةً ومهارةً وأداءً، وذلك عن طريق التحفيز إلى التفرُّغ العلمي والترغيب فيه، والتعاقد مع خبراء للإشراف والتأطير.
3. استثمار المشروع وخلاصات الدراسات والبحوث المُنجزة في إعداد دلائل مرجعية معيارية لبناء مشاريع تربوية وتقويمها في مختلف المراحل التعليمية وفق معايير الجودة المُعتمدة دولياً، وبإشراف المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالتعاون مع مراكز بحث مُعتمدة في مجال التخطيط والتقويم والجودة، والعمل على التعريف بها، وتعميم الاستفادة منها.
4. اقتراح تأسيس كرسي عبد الحميد أبو سليمان للدراسات والبحوث التربوية في الجامعة الإسلامية العالمية باليزيا، يتخصّص في التكوين والبحث التربوي، وتقديم الخبرة في مجال بناء المشاريع التربوية ومواكبتها على مستوى الإنجاز والتقييم والتطوير.

## المراجع

- الأدلة المرجعية للجودة التي طوّرتها كلٌّ من: الشبكة الأوروبية لضمان الجودة في التعليم العالي ENQA، ورابطة الجامعات الأوروبية EUA، والرابطة الأوروبية لمؤسسات التعليم العالي EURAC SHE.
- أبو سليمان، عبد الحميد (2004). أزمة الإرادة والوجدان المسلم: البُعد الغائب في مشروع إصلاح الأُمَّة، ط1، دمشق: دار الفكر، ومؤسسة تنمية الطفولة.
- أبو سليمان، عبد الحميد (1991). أزمة العقل المسلم، ط1، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- أبو سليمان، عبد الحميد (2001). "إسلامية الجامعة وتفعيل التعليم العالي بين النظرية والتطبيق: الجامعة الإسلامية بما ليزيا نموذجاً"، إسلامية المعرفة، المجلد السابع، عدد 26.
- أبو سليمان، عبد الحميد (2011). الإصلاح الإسلامي المعاصر: قراءات منهجية اجتماعية، ط3، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ودار السلام.
- أبو سليمان، عبد الحميد (2000). "الإصلاح التربوي: العلاقة بين الرؤية الحضارية الكونية والمنهجية والأداء التربوي"، إسلامية المعرفة، مجلد 6، عدد 22.
- أبو سليمان، عبد الحميد (2003). الإنسان بين شريعتين: رؤية قرآنية في معرفة الذات ومعرفة الآخر، ط1، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ودار السلام.
- أبو سليمان، عبد الحميد (2016). انهيار الحضارة الإسلامية وإعادة بنائها: الجذور الثقافية والتربوية، ط1، عمّان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- أبو سليمان، عبد الحميد (2013). "أيها التربويون: الرؤية الحضارية الكونية، ثمّ التربية، ثمّ التربية، ثمّ التربية"، إسلامية المعرفة، مجلد 18، عدد 71.
- أبو سليمان، عبد الحميد (1995). دليل مكتبة الأسرة المسلمة، ط1، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- أبو سليمان، عبد الحميد (2009). الرؤية الكونية الحضارية القرآنية، المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة: دار السلام.

أبو سليمان، عبد الحميد (1997). "التجديد مدرسة ومنهج"، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية العالمية بإليزيا، العدد 1.

الصمدي، خالد (2000). "مقاصد التربية والتكوين في النظام التعليمي الإسلامي المعاصر بين الثوابت الحضارية والمُتغيّرات الدولية"، ضمن كتاب: خطاب التربية الإسلامية في عالمٍ مُتغيّر: تجديد الفلسفة وتحديث الممارسة، ط6، الرباط: المركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية.

الصمدي، خالد (إشراف 2016). موسوعة الأدلة المقاصدية، ط1، مركز قراءات لبحوث ودراسات الشباب بالسعودية، ومركز المقاصد للدراسات والبحوث بالمملكة المغربية، طباعة: الجمعية الخيرية السعودية.

الطالب، هشام، وأبو سليمان، عبد الحميد، والطالب، عمر (2019). التربية الوالدية: رؤية منهجية تطبيقية في التربية الأسرية، ط1، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

مجلس ضمان الجودة والاعتماد (2017). دليل الجودة لمؤسسات التعليم العالي العربية، الصادر عن اتحاد الجامعات العربية، الأمانة العامة، عمّان، المملكة الأردنية الهاشمية.

## References

- Abū Sulaymān, 'A. (2004). *Azmat al-Irādah wa al-Wijdān al-Muslim: Al-Bu'd al-Ghā'ib fī Mashrū' Islāh al-Ummah* (1<sup>st</sup> ed.). Damascus: Dār al-Fikr, Mu'assasat Tanmiyat al-Tufūlah.
- Abū Sulaymān, 'A. (1991). *Azmat al-'Aql al-Muslim* (1<sup>st</sup> ed.). Virginia: Al-Ma'had al-'Ālamī li al-Fikr al-Islāmī.
- Abū Sulaymān, 'A. (2001). *Islāmiyyat al-Jāmi'ah wa Taf'īl al-Ta'līm al-'Ālī bayn al-Nazariyyah wa al-Taṭbīq: Al-Jāmi'ah al-Islāmiyyah bi Mālīzyā Unmūdhajan. Islāmiyyat al-Ma'rifah*, 7 (26).
- Abū Sulaymān, 'A. (2011). *Al-Islāh al-Islāmī al-Mu'āshir: Qirā'āt Manhajiyah Ijtīmā'iyyah* (3<sup>rd</sup> ed.). Cairo: Al-Ma'had al-'Ālamī li al-Fikr al-Islāmī, Dār al-Salām.
- Abū Sulaymān, 'A. (2000). *Al-Islāh al-Tarbawī: Al-'Alāqah bayn al-Ru'yyah al-Ḥaḍāriyyah al-Kawniyyah wa al-Manhajiyah wa al-Adā' al-Tarbawī. Islāmiyyat al-Ma'rifah*, 6 (22).
- Abū Sulaymān, 'A. (2003). *Al-Insān bayn Sharī'atayn: Ru'yyah Qur'āniyyah fī Ma'rifat al-Dhāt wa Ma'rifat al-Ākhar* (1<sup>st</sup> ed.). Cairo: Al-Ma'had al-'Ālamī li al-Fikr al-Islāmī, Dār al-Salām.
- Abū Sulaymān, 'A. (2009). *Al-Ru'yyah Al-Kawniyyah al-Ḥaḍāriyyah al-Qur'āniyyah: Al-Muntalaq al-Asās li al-Islāh al-Insānī* (1<sup>st</sup> ed.). Cairo: Dār al-Salām.
- Abū Sulaymān, 'A. (2016). *Inhiyār al-Ḥaḍārah al-Islāmiyyah wa I'adat Binā'ihā: Al-Juḍhūr al-Thaqāfiyyah wa al-Tarbawiyah* (1<sup>st</sup> ed.). Amman: Al-Ma'had al-'Ālamī li al-Fikr al-Islāmī.

- Abū Sulaymān, 'A. (1995). *Dalīl Maktabat al-Uṣrah al-Muslimah* (1<sup>st</sup> ed.). Virginia: Al-Ma'had al-'Ālamī li al-Fikr al-Islāmī.
- Abū Sulaymān, 'A. (1997). Al-Tajdīd Madrasat Manhaj. *Majalat al-Tajdīd: Al-Jāmi'ah al-Islāmiyyah bi Mālīzyā*, (1).
- Abū Sulaymān, 'A. (2013). Ayuhā al-Tarbawīyyūn: Al-Ru'yyah al-Ḥaḍāriyyah Al-Kawniyyah, thumma al-Tarbiyyah, thumma al-Tarbiyyah, thumma al-Tarbiyyah. *Islāmiyyat al-Ma'rifah*, 18 (71).
- Al-Adillah al-Marji'iyyah li al-Jūdah allatī Ṭawarathā kul min: Al-Shabakah al-Urūbiyyah li Ḍamān al-Jūdah fī al-Ta'līm al-'Ālī ENQA, wa Rābiṭat al-Jāmi'āt al-Urūbiyyah EUA, wa al-Rābiṭah al-Urūbiyyah li Mu'assasāt al-Ta'līm al-'Ālī EURACSHE.
- Al-Ṣamadī, Kh. (2000). Maqāṣid al-Tarbiyyah wa al-Takwīn fī al-Nizām al-Ta'līmī al-Islāmī al-Mu'āshir bayn al-Thawābit al-Ḥaḍāriyyah wa al-Mutaghayirāt al-Dawliyyah. *Khiṭāb al-Tarbiyyah al-Islāmiyyah fī 'Ālam Mutaghayir: Tajdīd al-Falsafah wa Tahdīth al-Mumārasah* (6th ed.). Rabat: Al-Markiz al-Maghribī li al-Dirāsāt wa al-Abhāth al-Tarbawīyyah.
- Al-Ṭālib, H. & Abū Sulaymān, 'A. & Al-Ṭālib, 'U. (2019). *Al-Tarbiyyah al-Wālidiyyah: Ru'yyah Manhajīyyah Taṭbīqīyyah fī al-Tarbiyyah al-Uṣariyyah* (1st ed.). Virginia: Al-Ma'had al-'Ālamī li al-Fikr al-Islāmī.
- Al-Ṣamadī, Kh. (2016). *Mawsū'at al-Adillah al-Iqtiṣādiyyah* (1st ed.). Markiz Qirā'at li Buḥūth wa Dirāsāt al-Shabāb bi al-Sa'ūdiyyah, Markiz al-Maqāṣid li al-Dirāsāt wa al-Buḥūth bi al-Mamlakah al-Maghribīyyah: Al-Jam'iyyah al-Khayriyyah al-Sa'ūdiyyah.
- Majlis Ḍamān al-Jūdah wa al-I'timād (2017). *Dalīl al-Jūdah li Mu'assasāt al-Ta'līm al-'Ālī al-'Arabiyyah*. Itihād al-Jāmi'āt al-'Arabiyyah, Al-Amānah al-'Āmah, Amman, The Hashmite Kingdom of Jordan.

**Restoring the Spirit of Stewardship:  
AbdulHamid AbuSulayman's Educational Reform Project**

**Khaled Al-Samadi\***

**Abstract**

This study aims to extrapolate the major orientations of AbdulHamid AbuSulayman's educational thought. It focuses on AbuSulayman's educational reform project, examining its founding reference, its objectives, its intellectual contents, and its practical application, and how these cohere to diagnose the intellectual and educational defects preventing the Ummah from regaining the spirit of initiative and stewardship. The study offers a critical analysis of AbuSulayman's educational reform methodology in light of other approaches that seek to address the Ummah's challenges. The study's main objective is to capture a practical framework in which AbuSulayman's educational reform project can treat the issues impeding the Ummah's ability to restore its civilizational prestige.

**Keywords:** *istikhlāf*, stewardship, education, educational reform, educational methodology, practical application, civilization building, civilizational prestige.

---

\* Khaled Al-Samadi holds a PhD in Islamic Studies from Sidi Mohamed Ben Abdellah University in Fez, Morocco, and is a Professor of Higher Education at the Ecole Normale Supérieure in Paris and at Abdelmalek Essaâdi University, Tetouan, Morocco. He is also an academic advisor to the International Institute of Islamic Thought in Morocco. Email: samadikh@yahoo.fr.